العرفان والسلوك عند أهل البيت عليهم السلام

الملا مُحمّد مُحسِن الفَيْض الكاشَاني





الشّارح

مير جلال الدين المحدث الأرموي



العرفان والسلوك

عند أهل البيت عليهم السلام

المعروف

شرح رسالة زاد السالك

ويليه

ترجمة الشريعة

للحكيم والمحدّث الكبير

الملا محمّد محسن الفيض الكاشاني

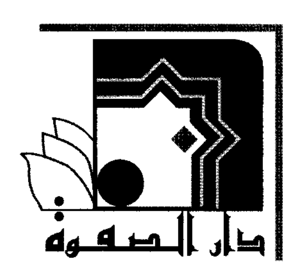
الشارح

مير جلال الدين المحدث الأرموي



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م



ISBN 978-9953-545-61-5

دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - بئر العبد - خلف محطة دياب - ص.ب: 25/91 الغبيري

فاكس: 00 29 55 (9611+) - هاتف: 42 49 27 (9611+) - 49 01 80 03

E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد فنضع هذه الرسالة بتوفيق الله سبحانه بيد الراغبين، وهي من الرسائل النفيسة والآثار الممتعة للعالم الشهير محمد بن مرتضى الملقّب بالفيض (رضوان الله عليه)، ويعتبر أول المحمدين الثلاثة المتأخرين. وهو صاحب تصانيف وتآليف كثيرة، وعلى رأسها «الصافي» و«الوافي» و«المفاتيح».

وبما أنّ نسبة هذه الرسالة إلى الفيض كسائر كتبه المعروفة مسلَّم ومقطوع به، وقد ذُكرت في جميع الكتب التي ترجمت له، لذا قد أعفانا من البحث في هذه الجهة، وسنشير فقط إلى عظمة مقام هذه الرسالة ومضامينها النفيسة إجمالاً، لكي يتيسر لبعض اخواننا في الدين الذين لا قدرة لهم في تشخيص هذا الأمر بمطالعة هذه الرسالة ببصيرة وشوق واطمئنان قلب لينتفع بما فيها ويعمل بمضامينها.

تنبيه على عظمة هذه الرسالة والإشارة إلى علو مقامها:

من الواضح جداً أنّ مقام الفيض غير قابل للإنكار من جهة جامعيته بين المعقول والمنقول، ودقّة نظره، وجودة فكره، وحدّة ذهنه، وصفاء قلبه، وحُسن سيرته، وأُنسه بكلام الله سبحانه ورسوله والأئمة المعصومين وفهمه، بالمقدار الذي ينبغي للفقيه الشيعي والعالم الربّاني أن يفهمه. وتخطئة وإنكار قسم من هذه المطالب للفيض مبتنٍ على أُمور لا يوجد أيّ منها في هذه الرسالة.

إذن وبما أنّ هذا الأثر ناشيء من جهة متفق عليها ومن الفن الذي تخصّص فيه هذا العالم ولم يتطرق إلى ما قد اختلف فيه هذا الفقيه من بعض المواضيع المعلومة بين أهل الفن، فيمكن القول انّ هذه الرسالة مورد للقبول بشكل مُجمل وحظت باستحسان سائر العلماء أيضاً.

موضوع الكتاب:

وكما يتضح من عنوان هذه الرسالة «زاد السالك» كتبها مصنّفها بعنوان برنامج لأتباع المذهب الجعفري وتعاليم لسالكي الطريقة الإثنا عشرية جواباً لسؤال أحد العلماء المعاصرين له عن هذا الأمر، ووفقاً لتصريح المصنّف أنّها ضرورية ولازمة لسالك طريق الدين. وقد استخرجت من أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وأدرجها في هذه الرسالة فهذه الرسالة إذن هي خلاصة للمضامين الحقّة للأحاديث المأثورة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد أمروا بها للعمل طبقاً لها.

وتأييداً لما ذكرنا آنفاً فقد سمعت مشافهة وبلا واسطة من ثقة الإسلام الشيخ آقا بزرگ الطهراني صاحب «الذريعة» مدّ ظلّه يقول:

«يحتوي هذا الكتاب الشريف على مطالب يمكن التعبير عنها بكلمة جامعة بـ(السلوك الشرعي والطريقة الدينيّة)».

وتابع قائلاً:

«عندما رأيت نسخة هذا الكتاب ومحتوياته وتصفحته سريعاً أثّر في نفسي بحيث لم اقتنع بمطالعته مرّة واحدة. وقمت بتلخيصه وفهرسته في صفحة واحدة على شكل ملاحظات لنستفيد من مطالعة مضامينه الحقّة ونعمل وفقاً لتعاليمه الشرعية»

والحُسن الظاهري لهذا الكتاب علاوة على حُسنه المعنوي أنّه كُتب بأسلوب يسير جداً وجميل وبيان جذّاب جداً باللغة الفارسية بحيث يستطيع من كانت لغته الفارسية الاستفادة منه بكلّ سهولة. والسلام على مَن اتّبع الهدى.

مير جلال محدّث

جمادى الثاني ١٣٧٢ قمري

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

أمّا بعد، فهذه الرسالة الموسومة بـ«زاد السالك» كُتبت جواباً لسؤال أحد الأخوة العلماء عن كيفيّة سلوك طريق الحقّ.

إعلم، أيّدك الله بروح منه، كما أنّ للسفر الصوري بداية ونهاية ومُرشد وزاد وراحلة ورفيق ودليل، فجميع هذه الأمور موجودة أيضاً في السفر المعنوي، الذي هو سفر الروح نحو الحقّ سبحانه وتعالى.

مبدأه: الجهل والنقصان الطبيعي الذي جاء معه من بطن أمّه

﴿وَاللهُ أَخرَجَكم مِن بُطونِ أُمَّهاتِكم لا تَعْلَمونَ شَيئاً﴾[1].

ومنتهاه: الكمال الحقيقي الذي هو فوق جميع الكمالات، والذي هو الوصول إلى الحقّ سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ﴾[2].

﴿يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً

(١) سورة النحل، الآية (٧٨).
(٢) سورة النجم، الآية (٤٢).

فَمُلاقيهِ﴾[1].

ومسافة الطريق في هذا السفر: مراتب الكمالات العلميّة والعمليّة التي تطويها الروح شيئاً فشيئاً، حيثما كان موافقاً لصراط الشرع المستقيم الذي هو طريق الأولياء والأصفياء.

﴿وَأَنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾[2].

وهذه الكمالات مترتبة بعضها على بعض، فلا يمكن الإنتقال إلى الكمال التالي ما لم يطوِ الكمال المتقدّم، كما هو في السفر الصوري حيث لا يمكن قطع المسافة المتأخرة.

ما لم يطوِ المسافة المتقدمة أولاً.

ومنازل هذا السفر: الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة، حيث تترقّى، الروح في الأحوال والمقامات في كل درجة إلى الأعلى بالتدريج، المنزل الأول اليقظة الذي هو المعرفة، والمنزل الأخير التوحيد الذي هو أقصى منازل هذا السفر.

وتفاصيل هذه المنازل والدرجات مذكورة في كتاب «منازل السائرين».

مراد المصنّف هو «منازل السائرين» للخواجة عبد الله الأنصاري. والمنازل والدرجات المذكورة في ذلك الكتاب تنقسم إلى عشرة أقسام، وكل قسم يحتوي على عشرة أبواب، وكل باب في بيان أمر.

فالمنازل والدرجات المشار إليها إذن مائة، وفهرستها بهذا الترتيب:

---

(١) سورة الإنشقاق، الآية (٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

القسم الأول: البدايات. وأبوابها هي: ١ ـ اليقظة ٢ ـ التوبة ٣ ـ المحاسبة ٤ ـ الإنابة ٥ ـ التفكّر ٦ ـ التذكّر ٧ ـ الاعتصام ٨ ـ الفرار ٩ ـ الرياضة ١٠ ـ السُماع

القسم الثاني: الأبواب وأبوابه عشرة: ١ ـ الحزن ٢ ـ الخوف ٣ ـ الإشفاق ٤ ـ الخشوع ٥ ـ الإخبات ٦ ـ الزهد ٧ ـ الورع ٨ ـ التبتّل ٩ ـ الرجاء ١٠ ـ الرغبة.

القسم الثالث: المعاملات وأبوابها هي: ١ ـ الرعاية ٢ ـ المراقبة ٣ ـ الحرمة ٤ ـ الإخلاص ٥ ـ التهذيب ٦ ـ الاستقامة ٧ ـ التوكّل ٨ ـ التفويض ٩ ـ الثقة ١٠ ـ التسليم.

القسم الرابع: الأخلاق وأبوابه هي: ١ ـ الصبر ٢ ـ الرضا ٣ ـ الشكر ٤ ـ الحياء ٥ ـ الصدق ٦ ـ الإيثار ٧ ـ الخُلق ٨ ـ التواضع ٩ ـ الفتوة ١٠ ـ الإنبساط.

القسم الخامس: الأُصول وأبوابه هي: ١ ـ القصد ٢ ـ العزم ٣ ـ الإرادة ٤ ـ الأدب ٥ ـ اليقين ٦ ـ الأُنس ٧ ـ الذكر ٨ ـ الفقر ٩ ـ الغنى ١٠ ـ المراد.

القسم السادس: الأودية وأبوابها هي: ١ ـ الإحسان ٢ ـ العلم ٣ ـ الحكمة ٤ ـ البصيرة ٥ ـ الفراسة ٦ ـ التعظيم ٧ ـ الإلهام ٨ ـ السكينة ٩ ـ الطمأنينة ١٠ ـ الهمّة.

القسم السابع: الأحوال وأبوابه هي: ١ ـ المحبّة ٢ ـ الغيرة ٣ ـ الشوق ٤ ـ القلق ٥ ـ العطش ٦ ـ الوجد ٧ ـ الدهش ٨ ـ الهيمان ٩ ـ البرق ١٠ ـ الذوق.

القسم الثامن: الولايات وأبوابها هي: ١ ـ اللحظ ٢ ـ الوقت ٣ ـ الصفاء ٤ ـ السرور ٥ ـ السرّ ٦ ـ النفس ٧ ـ الغربة ٨ ـ الغرق ٩ ـ الغيبة ١٠ ـ العرق.

القسم التاسع: الحقائق وأبوابها هي: ١ ـ المكاشفة ٢ ـ المشاهدة ٣ ـ الصفاء ٤ ـ الحياة. ٥ ـ القبض ٦ ـ البسط ٧ ـ السكر ٨ ـ الصحو ٩ ـ الإتصال ١٠ ـ الإنفصال.

القسم العاشر: النهايات وأبوابها هي: ١ ـ المعرفة ٢ ـ الفناء ٣ ـ البقاء ٤ ـ التحقيق ٥ ـ التلبيس ٦ ـ الوجود ٧ ـ التجريد ٨ ـ التفريد ٩ ـ الجمع ١٠ ـ التوحيد.

لكن لا ينبغي أن يُترك القول في أنّ قسم من هذه الأُمور (وخاصّة بهذا الترتيب والكيفيّة) لا أثر له في أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. ويحتمل أن المصنّف رحمه الله ترك ذكرها لهذا السبب. فإذن يجب على السالك في طريق الله جلَّ جلاله أن يقتصر على الأوامر المنصوصة في القرآن والحديث، وأن يتجنّب اتّباع غير المعصوم في جميع الأحوال والأمور، وفي هذا فقط تكون سعادة الدنيا والآخرة.

ومرشد هذا السفر: الجدّ الكامل والجُهد البالغ والهمّة العالية في قطع هذه المنازل بمجاهدة النفس ورياضتها بحمل أعباء التكاليف الشرعيّة من الفرائض والسُنن والآداب في مراقبة النفس ومحاسبتها آناً فآناً ولحظة فلحظة، وجعل الهموم همّاً واحداً والانقطاع إلى الحقّ سبحانه وتعالى.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا﴾[1].

(١) سورة المزمل، الآية (٨).

﴿وَالَّذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[1].

وزاد هذا السفر التقوى:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى﴾[2].

والتقوى عبارة عن الامتثال لما أمر به الشارع والاجتناب عمّا نهىٰ عنه، عن طريق البصيرة، ليتهيأ القلب بنور الشرع وصقل تكاليفه لتلقّي فيض المعرفة عن الحقّ عزّ وجلّ.

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[3].

وكما أنّ المسافر الصوري ما لم يحصل على قوّة البدن من الزاد لا يقدر على قطع الطريق، فكذلك المسافر المعنوي ما لم يتحلّىٰ بالتقوى والطهارة الشرعية ظاهراً وباطناً، وما لم يقوِّ روحه بها، فلن تُفاض عليه العلوم والمعارف والأخلاق الحميدة المترتبة على التقوى، وتحصل منها التقوى (لا على سبيل الدور)، ومثله كمثل من كان في يده مصباح في الليل المظلم فيرى طريقه ويمشي، كل قدم يرفعها تُضاء له قطعة من ذلك الطريق فيمشي بنورها، وهكذا. وما لم يخطو بقدميه ويمشي فلا ضياء، وما لم يُضاء له لا يقدر على المشي. فتلك الرؤية بمنزلة المعرفة، وذلك السير بمنزلة العمل والتقوى.

«مَن عَمِلَ بِما عَلِمَ ورَّثهُ اللهُ علم ما لم يعلَمْ».

وفي «بحار الأنوار» ضمن البيان والاستدلال المنقول عن المفيد (رحمه الله) هذه العبارة:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

«ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «مَن عمل بما يعلم ورَّثه الله علم ما لم يعلم»[1].

ونُقل في «بحار الأنوار» أيضاً عن كتاب «أعلام الدين» أنّ الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال:

«مَن عمل بما يعلم علَّمه الله ما لم يعلم»[2].

ونقل في «البحار» عن «ثواب الأعمال» مُسنداً أنّ الصادق عليه السلام قال:

«مَن عملَ بما علم كُفي ما لم يَعلم»[3].

قال المجلسي رحمه الله في بيان ذلك (أي «كُفي ما لم يعلم»): «أي علَّمه الله بلا تعب».

وذكر في «البحار» عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ضمن حديث:

«ومَن يرغب في الدنيا فطال فيها أمله، أعمىٰ الله قلبه على قدر رغبته فيها. ومَن زهد فيها فقصر فيها أمله، أعطاه الله علماً بغير تعلّم، وهداه بغير هداية، وأذهب عنه العمىٰ وجعله بصيراً»[4].

وروي في هذا الكتاب أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«مَن زهدَ في الدنيا ولم يجزع من ذُلّها ولم يُنافس في عزّها هداه الله بغير هداية من مخلوقه، وعلّمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره وأجراها على لسانه»[5].

---

(١) البحار ج٩، ص٤٥٦، باب علمه (أي أمير المؤمنين عليه السلام).
(٢) البحار ج١٧، ص١٦٨.
(٣) البحار ج١، ص٧٨.
(٤) البحار ج١٧، ص٤٦.
(٥) البحار ج١٧، ص١٣٣.

ونقل المجلسي رحمه الله في «البحار» عن «عوالي اللئالي» لابن أبي جمهور رحمه الله أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنّ العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ فارتحل»[(1)].

وفي نفس هذا الكتاب أيضاً عن نفس المصدر نقلاً عن «نهج البلاغة» أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«العلم مقرون إلى العمل، فَمن علمَ عَمِل، ومَن عَمِل عَلِم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل»[(2)].

«لا يقبل الله عملاً إلاّ بمعرفة، ولا معرفة إلاّ بعمل، فَمَن عَرَفَ دَلَّتهُ المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إنّ الإيمان بعضه من بعض» كذا عن الصادق عليه السلام.

ونُقل في «البحار» ج٩ هذا الحديث عن «الأمالي» للصدوق رحمه الله و«المحاسن»، وذكر بياناً له أيضاً:

يقول الحسن بن زياد الصيقل: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«لا يقبل الله عزّ وجلّ عملاً...» إلى آخره. ثم يقول: وذُكر نفس هذا الحديث في كتاب «المحاسن» أيضاً:

«بيان: الظاهر أنّ المراد بالمعرفة أُصول العقائد، ويُحتمل الأعمّ. قوله «أنّ الإيمان بعضه من بعض» أي أجزاء الإيمان والعقائد والأعمال بعضها مشروطة ببعض، كأنّ العقائد أجزاء الأعمال وبالعكس، أو المراد أنّ أجزاء الإيمان يَنشأ بعضها من بعض».

---

(١) البحار ج١، ص٧٩.

(٢) البحار ج١، ص٨٠.

وقد روي هذا المضمون أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام، ونقله في «البحار» في ضمن كلماته المأثورة بهذه العبارة:

«لا يقبل عمل إلاّ بمعرفة، ولا معرفة إلاّ بعمل. ومَن عَرف دلَّته معرفتُهُ على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له»[1].

وكما أنّ من لا يعرف الطريق في السفر الصوري لا يصل إلى مقصده، فكذلك من لم تكن له بصيرة في عمله في السفر المعنوي لا يصل إلى مقصده.

«العاملُ على غير بصيرة كالسائرِ على غير الطريق، لا يزيده كثرة السير إلاّ بُعداً».

نقل الكليني رحمه الله في «أُصول الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«العاملُ على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعة السير إلاّ بُعداً»[2].

ونقل المجلسي رحمه الله في «البحار» عن «الأمالي» للصدوق رحمه الله والذي رواه بسنده أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام:

«العاملُ على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير من الطريق إلاّ بُعداً»[3].

ونقله في «جامع الأخبار» أيضاً، وقد رواه مؤلفه عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

(١) البحار ج١٧، ص١٦٤. والكافي باب من عمل بغير علم.
(٢) مرآة العقول ج١، ص٣٩.
(٣) البحار ج١، ص٦٤، باب العمل بغير علم.

«العاملُ على غير بصيرة كالسائر على السراب بقيعة لا يزيده سرعة سيره إلاّ بعداً»[1]

ونقل في «نهج البلاغة» أيضاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في ضمن خطبة له:

«فانّ العامل بغير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بُعده عن الطريق إلاّ بُعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظرٌ أسائرٌ هو أم راجع»[2].

ونُقل في «تفسير علي بن إبراهيم» أيضاً أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قال: «مكتوبٌ في الإنجيل: لا تطلبوا علم مالا تعلمون ولما علمتم بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يُعمل به لم يزدد من الله إلاّ بُعداً»[3].

وراحلة هذا السفر: البدن وقواه، فكما أنّ في السفر الصوري إذا كانت الراحلة ضعيفة ومريضة فانّها لا تستطيع طي الطريق، فكذلك في هذا السفر فإذا لم يكن البدن صحيحاً وقواه قوية فلا يستطيع إنجاز العمل. فإذن تحصيل المعاش ضروري من هذه الجهة. وما هو ضروري واجب بقدر الضرورة.

إذن فطلب الفضول في المعاش مانع من السلوك. وما قالوه في التحذير من الدنيا المذمومة هو عبارة عن ذلك الفضول، والذي هو وبال على صاحبه. وأمّا قدر الضرورة منه فداخل في أُمور الآخرة وتحصيله عبادة.

---

(١) البحار ج١، ص٦٥، باب العمل بغير علم.
(٢) البحار ج١، ص٦٥، باب العمل بغير علم.
(٣) البحار ج١، ص٧٧، معالم العبر ص٢٥٨.

وهذا المضمون هو مفاد النصوص الصحيحة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، حيث ورد في موارد متعدّدة وبعبارات مختلفة وأسانيد متكثّرة معتبرة وننقل مجموعة من الأحاديث من باب المثال:

قال الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله في الكتاب الشريف «الوسائل»:

«قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: والله انّا لنطلب الدنيا ونحبّ أن نُؤتاها. فقال: تحبُّ أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدَّق بها وأحجّ واعتمر. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة»[1].

ونُقل في «مستدرك الوسائل» عن مستطرفات «السرائر» عن ابن أبي يعفور قوله:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا لنطلب الدنيا. فقال لي: تصنع بها ماذا؟ قال: أتزوّج منها وأنفق على عيالي وأنيل على إخواني واتصدّق. قال لي: ليس هذا من الدنيا هذا من الآخرة»[2].

ونقل الكليني رحمه الله في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ محمد بن منكدر كان يقول: ما كنت أرى أنّ علي بن الحسين يدع خَلَفَاً أفضل منه حتّى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني. فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟

قال: خرجتُ إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكيء على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله أشيخ من أشياخ قريش في هذه

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب التجارة، باب جمع المال من الحلال.

(٢) مستدرك الوسائل ج٢، ص٤١٦.

الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أما لأعظنه، فدنوت منه فسلّمت عليه، فَردَّ عليَّ السلام ببهرٍ وهو يتصاب عرقاً فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟

أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة الله عزّ وجلّ أكفُّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنّما كنتُ أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله عزّ وجلّ.

فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني»[1].

قال المجلسي رحمه الله في شرحه:

«قوله ـ ببهر ـ قيل: هو بالباء بمعنىٰ تتابع النفس وفي النسخ بالنون أي بزجر وانتهار إمّا للأعباء والتعب أو لما علم من سوء حال السائل وسوء إرادته، قال في القاموس: نَهَرَ الرجل: زجره كانتهره»

وقد ورد في الحديث النبوي:

«العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال».

وهو شبيه بهذا الجزء من الرواية: «اكفُّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس».

وكما أنّ من القىٰ زمام راحلته في السفر الصوري في أثناء الطريق لتسير كيفما تشاء فانّه لا يطوي الطريق، فكذلك الأمر في السفر المعنوي، فإذا ترك العنان لبدنه وقواه أن تفعل كل ما تشتهيه، ولم تقيّد بالآداب والسنن

(١) فروع الكافي، كتاب المعيشة، باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق.

الشرعيّة ولم يمسك زمامها بيده فانّه لا يطوي الطريق.

ورفاق هذا الطريق: العلماء والصلحاء والعُبّاد السالكين الذين بعضهم معين ومعاون للبعض الآخر، لأنّ الإنسان لا يستطيع الاطّلاع على عيبه بسرعة لكنّه يستطيع الاطّلاع على عيب غيره بسرعة. إذن فإذا تعاهد عدّة أشخاص على بناء أنفسهم سويّة وأطلع بعضهم على عيوب البعض الآخر فانّهم يطوون الطريق ويأمنون من سارق الدين فانّ الشيطان إلى المنفرد أقربُ منه إلى الجماعة، ويد الله على الجماعة.

وإذا خرج أحدهم عن الطريق فسيخبره الآخر بذلك وأمّا إذا كان وحيداً فهيهات أن يطّلع على ذلك.

يقول السيوطي في «الجامع الصغير من حديث البشير النذير»:

«الشيطان يهمُّ بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثة فلا يهمَّ بهم»[١].

ونقل أيضاً في نفس هذا الكتاب:

«يد الله على الجماعة»[٢].

ونقل السيّد الرضي (رضي الله عنه) في «نهج البلاغة» عن أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن كلام له:

«والزموا السواد الأعظم فانّ يدَ الله على الجماعة، وايّاكُم والفرقة فإنَّ الشاذَّ من الناس للشيطان كما أنَّ الشاذَّة من الغنم للذئب»[٣].

ودليل هذا الطريق النبيّ صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) الذين هُم الهداة، وضعوا السنن والآداب، وأخبروا بمصالح ومفاسد

(١) الجامع الصغير ج٢، ص٥٩ طبعة مصر سنة ١٣٥٢.
(٢) الجامع الصغير ج٢، ص٦٥٥.
(٣) نهج البلاغة، تحت عنوان «ومن كلام له عليه السلام للخوارج».

الطريق، وسلكوا هذا الطريق بأنفسهم، وطلبوا من الأمة الاقتداء والتأسّي بهم.

﴿لَقَدْ كان لَكُمْ في رَسولِ الله أُسوةٌ حَسَنةٌ﴾[1].

﴿قُلْ إن كُنتُم تُحِبّونَ الله فَاتَّبعوني يُحْبِبكُمْ الله﴾[2].

وحاصل ما عملوه وأمروا به ـ بعد تحصيل العقائد الحقّة كما يُستفاد من الروايات المعتبرة عن طريق أهل البيت عليهم السلام ـ هي أُمور لا بدّ للسالك منها، ولا يجوز الإخلال بها بأي عذر كان، وهي خمسة وعشرين أمراً:

الأول: المحافظة على الصلوات الخمس، أعني إقامتها في أول الوقت جماعة بسننها وآدابها. فإذا أخّرها عن أوّل وقتها من غير عذر وعلّة، أو لم يحضر الجماعة، أو ضيّع سنّة من السُنن أو أدب من آدابها إلاّ نادراً، فانّه يخرج عن سلوك الطريق، ويتيه كسائر العوام في صحراء الجهالة والضلالة، لا يعرف المقصد والصريق، وسوف لن يترقّىٰ أبداً.

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فضل الوقت الأول على الأخير كفضل الآخرة على الدنيا»[3].

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ العبد إذا صلّى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقية تقول حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول ضيّعتني ضيَّعك الله»[4].

وسأل موسى عليه السلام في حواره مع الباري عزّ وجل: «إلهي ما ثواب

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).
(٢) سورة آل عمران، الآية (٣١).
(٣) بحار الأنوار ج٨٢، ص٣٥٩.
(٤) بحار الأنوار ج٨٣، ص٩.

مَن صلّى الصلاة في أوّل وقتها؟ فأجابه الحقّ تعالى: أعطيته ما يرجوه والجنة جنّتي»[1].

«وقال رسول ﷺ: لا ينال شفاعتي غداً مَن أخّر الصلاة المفروضة بعد وقتها»[2].

«قال رسول الله ﷺ: لا يزال الشيطان هائباً لابن آدم ذعراً منه ما صلّى الصلوات الخمس لوقتهن، فإذا ضيّعهنّ اجترأ عليه فأدخله في العظائم»[3].

الثاني: المحافظة على صلاة الجمعة والعيدين والآيات مع اجتماع الشرائط ـ إلاّ مع العذر المُسقط ـ بحيث إذا ترك الجمعة ثلاثاً متواليات من غير علّة صدأ قلبه بنحو لا يقبل الإصلاح.

وهذا التعبير مأخوذ من عبارات الأحاديث الشريفة، حيث صُرِّح بهذا المضمون في عدّة أحاديث صحيحة ومعتبرة. ومن جملة ذلك حديث صحيح السند مروي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«مَن تَركَ الجمعة ثلاثاً متوالياتٍ بغير علّة طبع الله على قلبه»[4].

ونظير هذه الرواية رواية أُخرى نُقلت في نفس هذا الكتاب عن الإمام الصادق عليه السلام بهذه العبارة:

«مَن ترك الجمعة ثلاثاً متواليات بغير علّة طبع الله على قلبه»[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٨٣، ص٩.
(٢) بحار الأنوار ج٨٣، ص٩.
(٣) بحار الأنوار ج٨٣، ص١١.
(٤) بحار الأنوار ج١٨، ص٧٢٤.
(٥) بحار الأنوار ج١٨، ص٧١٨.

وفي هذه الصفحة أيضاً نقل عن «رسالة صلاة الجمعة» للشهيد الثاني رحمه الله:

«مَن ترك ثلاث جُمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه»

وورد في حديث آخر هكذا:

«مَن ترك ثلاثَ جمع متعمّداً من غير علّة طبع الله على قلبه بخاتم النفاق».

وقال نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم:

«لينتهينَّ أقوام عن ردعهم الجمعات أو ليختمنَّ على قلوبهم ثمّ ليكونُنَّ من الغافلين».

ومن أراد الأحاديث الواردة في هذا الباب فليراجع المجلد الثالث عشر من «البحار» كتاب الصلاة. ومَن لم يستطع الإستفادة من بضاعة هذا الكتاب فليراجع كتاب «ربيع الأسابيع» الشريف حيث ذكر فيه الترجمة الفارسية لتلك الأحاديث.

الثالث: المحافظة على النوافل المعهودة للرواتب اليوميّة والتي يُعد تركها معصية، إلاّ أربع ركعات من نافلة العصر وركعتين من نافلة المغرب والوتيرة، فانّ تركها من غير عذر جائز أيضاً.

قال الطريحي رحمه الله في «مجمع البحرين»:

«رَتَبَ الشيء (من باب قعد) رُتُوباً أي استقرَّ ودام، والسنّة الراتبة ما داوم عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الرُّتُوب بمعنى الثبوت والدوام».

وقال صاحب «أقرب الموارد»:

«الرواتب: الوظائف والسنن التابعة للفرائض. قيل: الموقّتة بوقتٍ مخصوص».

ومُراده هنا النوافل اليوميّة.

وقد عرَّف الشيخ البهائي رحمه الله النوافل اليومية في «الجامع العباسي» في ضمن تعداده للصلوات المستحبة هكذا:

«النوافل اليومية التي إقامتها في كل يوم وليلة سُنّة هي أربع وثلاثون ركعة، ثمان ركعات نافلة الظهر مقدّمة على فريضة الظهر، وثمان ركعات نافلة العصر مقدّمة على فريضة العصر، وأربع ركعات نافلة المغرب بعد فريضة المغرب، وركعتين من جلوس تُحسب ركعة واحدة ويقال لها «الوتيرة»، وثمان ركعات صلاة الليل وركعتان صلاة الشفع وركعة صلاة الوتر، وركعتين نافلة الصبح مقدّمة على فريضة الصبح».

والراغب في معرفة أوقات هذه النوافل وكيفيّاتها يراجع كتاب «الجامع العباسي» أو سائر الكتب الفقهية.

الرابع: المحافظة على صوم شهر رمضان وإكماله، وضبط اللسان من اللغو والغيبة والكذب والكلام البذيء وسائر الأعضاء من الظلم والخيانة والإفطار على الحرام والشبهة، أكثر من سائر الأيام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قال الله عزّ وجلّ: كلّ أعمال ابن آدم بعشرة أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصبر فإنّه لي وأنا أجزي به، فثواب الصبر مخزون في علم الله، والصبر: الصوم».

الخامس: المواظبة على الصيام المستحبّ، والذي هو ثلاثة أيّام

المعهودة من كل شهر، والتي تعادل صوم الدهر، ولا تُترك من غير عذر، وإذا تركها قضاها أو تصدّق بدلها بمُدٍ من طعام.

قال المجلسي رحمه الله في «زاد المعاد»:

«اعلم انّ من جُملة السُنن المؤكّدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يواظب عليها إلى أن ارتحل عن الدنيا هو صيام ثلاثة أيّام من كل شهر، والموافق للمشهور هو أول خميس من الشهر وآخر خميس من الشهر وأول أربعاء من العشرة الوسطى من الشهر. وقد ورد عكس ذلك أيضاً في بعض الروايات أي أول أربعاء وآخر أربعاء والخميس الأول من العشرة الوسطىٰ.

والنحو الأول أشهر وأفضل. وسُننه صلى الله عليه وآله وسلم بعد الفريضة في الفضيلة والتأكيد».

ثمّ ذكر بعض الأحاديث وغيرها في هذا الباب وقال:

«وإذا كان في العشرة الأولى خميسان فصيام الخميس الأول أفضل، فإن لم يتيسّر له ذلك صام الخميس الثاني. وإذا كان في العشرة الأخيرة خميسان فالموافق للمشهور أنّ صيام الخميس الثاني أفضل، وان ورد في حديث صحيح ورواية أخرى أنّ صيام الخميس الأول أفضل، وحمله البعض على صورة ما إذا كان الخميس الثاني أوّل الشهر»[1].

ومَن رغب في المزيد عليه بمراجعة «زاد المعاد» أو الكُتب المفصّلة.

السادس: المحافظة على الزكاة بنحو لا يجوز معه التأخير والتأنّي إلاّ مع العذر كفقدان المستحقّ أو انتظار أفضل المستحقّين ونحو ذلك.

﴿وَرَحمتي وَسِعَت كُلَّ شيءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذينَ يَتَّقونَ وَيُؤتونَ الزّكوةَ

---

(١) زاد المعاد، الباب العاشر.

وَالّذينَ هم بِآياتِنا يُؤمِنونَ﴾[1].

والله سبحانه حينما يعدّ صفات المؤمنين يقول:

﴿وَالذينَ هُمْ لِلزَّكوٰةِ فاعلونَ﴾[2] وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَن منعَ قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة»[3].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«السُّراق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو قضاءَه»[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته:

«الله الله في الزكاة فإنّها تُطفيء غَضَبَ رَبِّكُم»[5].

ويقول عمر بن شمر سمعت الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول:

«حَصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وما تَلفَ مالٌ في بَرٍّ ولا بَحر إلاّ بمنع الزكاة»[6].

السابع: المواظبة على إنفاق الحقّ المعلوم من المال، أعني الشيء المقرّر إعطاءه للسائل أو المحروم في كل يوم أو في كل أسبوع أو في كل شهر بما يناسب مقدار المال، وعدم الإخلال بذلك. والأفضل أن لا يطّلع أحدٌ على ذلك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٦).
(٢) سورة المؤمنون، الآية (٤).
(٣) بحار الأنوار ج٩٦، ص١١.
(٤) الخصال ص٧٤.
(٥) ثواب الأعمال، ص٤٢.
(٦) ثواب الأعمال، ص٤٢.

﴿وَالَّذينَ فِي أَموالِهِم حَقٌّ مَعلومٌ * لِلسّائِلِ والمَحْرومِ﴾[1].

ففي الحديث أنّه غير الزكاة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«سُوسُوا إيمانكم بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء»[2].

وقال تعالى:

﴿لَن تَنالُوا البِرَّ حَتّى تُنفِقُوا مِمّا تُحِبّونَ وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَليمٌ﴾[3].

وقال تعالى أيضاً:

﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُم فِي سَبيلِ الله كَمثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلَيمٌ﴾[4].

ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في بيان منزلة الصدقة:

«ألا ومَن تصدّق بصدقة فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة»[5].

وقال أيضاً:

«لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو يُنفق منه آناء الليل وآناء

---

(١) سورة المعارج، الآيتان (٢٤ و٢٥).
(٢) نهج البلاغة الحكمة(١٤٦).
(٣) سورة آل عمران، الآية (٩٢).
(٤) سورة البقرة، الآية (٢٦١).
(٥) امالي الصدوق، ص٢٥٩.

النهار، ورجل آتاهُ القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»[1].

وقال أيضاً:

«الخَلق كلّهم عيال الله فأحبَّهم إلى الله عزّ وجلّ أنفعَهم لعياله»[2].

الثامن: المحافظة على حجّة الإسلام، وكذلك المبادرة إليها في سنة وجوبها، ولا يجوز تأخيرها من غير عذر.

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير آية ﴿مَن كانَ في هذه أَعمىٰ فهُوَ في الآخِرةِ أعمىٰ وأضلُّ سبيلاً﴾:

«نزلت فيمن يسوّف الحجّ حتى مات ولم يحجّ فعمىٰ عن فريضة من فرائض الله»[3].

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«مَن حجَّ حجَّتين لم يزل في خيرٍ حتّى يموت»[4].

وقال أيضاً:

«لو كان لأحدكم مثل أبي قُبيس ذهب يُنفقه في سبيل الله ما عَدَل الحجّ، ولدرهم يُنفقُه الحاجّ يعدل ألفي ألف درهم في سبيل الله»[5].

التاسع: زيارة القبور المقدّسة للنبيّ والأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام فقد جاء في الحديث:

«زيارة الحسين فرض على كل مؤمن، ومن تركه فقد ترك حقّاً لله

(١) الخصال، ص٣٨.
(٢) قرب الاسناد، ص٧٤، بحار الأنوار ج٩٦، ص١١٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٩٩، ص٥.
(٤) الخصال ص٣٩.
(٥) بحار الأنوار ج٩٩، ص٨، المحاسن ص٦٣.

ورسوله».

وجاء في حديث آخر:

«لكلّ إمام عهد في ذمّة أوليائه وشيعته، ومن تمام الوفاء بالعهد زيارة قبره».

هناك أخبار عديدة تدلّ على وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وقد حملها بعض العلماء على ظاهرها واستنبطوا منها الوجوب، ولكنّ أكثر العلماء حملوا الوجوب على الاستحباب المؤكّد. وعبارة العلّامة المجلسي في الباب الخامس من «تحفة الزائر» دليل على الادّعاء المزبور أيضاً. فقد قال في الباب المذكور بعد أن عنون الفصل الأول بهذه العبارة:

«الفصل الأول: في الأخبار الدالّة على وجوب زيارته عليه السلام وبيان المدّة التي يجب العود بها إلى زيارته عليه السلام» ونقل أخباراً ثمّ قال:

«يقول المؤلف: يظهر من أكثر الأحاديث السابقة وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وليس لها معارض ظاهري. ولكن المشهور بين العلماء أنّها سنّة مؤكّدة، ونهاية قوّة تلك الأحاديث هو وجوبها في العمر مرّة، والشيعة الذين يتركون الزيارة وهم قادرون عليها مع اطّلاعهم على هذه التأكيدات والتهديدات سيكونون في غاية ضعف الإيمان. والأحوط في زيارة الإمام الحسين عليه السلام والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بل الأحوط في زيارة كل إمام في المرّة الأولىٰ عدم قصد السُنَّة، بل يأتي بها بقصد القربة فقط. وكذلك يظهر من كثير من الأحاديث أنّ التقية والخوف ليست عذراً في ترك زيارته عليه السلام. وهذا خلاف المشهور بين العلماء ومُنافٍ لعموم أحاديث التقيّة. ولا يبعد أن يكون المراد هو الخوف الناشىء من الاحتمالات البعيدة أو خوف فوت المنافع الدنيوية أو المالية أو الضرر السهل من الاستخفاف والإهانة، فهذه لا

يجب أن تكون مانعاً، والله يعلم»

ونظير عبارته هذه ما في «مزار البحار»، قال في أبواب زيارته عليه السلام في عنوان الباب الأول:

«باب أنّ زيارته صلوات الله عليه واجبة مفترضة مأمور بها وما ورد في الذّم والتأنيب والتوعّد على تركها وأنّها لا تُترك للخوف» وقال في ـ أواخر الباب المذكور بعد نقل خبر بأسانيد معتبرة ومتعددة يدل بصراحة على عدم جواز ترك زيارته عليه السلام من جهة الخوف:

«لعلّ هذا الخبر بتلك الأسانيد الجمّة محمول على خوف ضعيف يكون مع ظنّ السلامة أو على خوف فوات العزّة والجاه وذهاب المال، لا تلف النفس والعرض لعمومات التقية والنهي عن إلقاء النفس إلى التهلكة، والله يعلم. ثمّ اعلم أنّ ظاهر أخبار أكثر هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته صلوات الله عليه، بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها ولا يبعد القول بوجوبها في العُمر مرّة مع القدرة. وإليه كان يميل الوالد العلاّمة نوّر الله ضريحه. وسيأتي التفصيل في حدّها للقريب والبعيد، ولا يبعد القول به أيضاً والله يعلم».

العاشر: المحافظة على حقوق الأُخوان وقضاء حوائجهم، وقد أُكّد عليه بشدّة، بل هو مقدّم على أكثر الفرائض.

ومَن يرغب في الاطّلاع على التأكيدات الواردة في أهمية حقوق المؤمنين وقضاء حوائجهم يراجع الأبواب المختصّة بهذه العناوين في «الوافي» و«الوسائل» و«البحار»، لأنّ الخوض في هذا الموضوع يحتاج إلى تأليف رسالة بل كتاب مستقل، ولكن أهمية وعظمة ذلك يمكن فهمها من الحكاية الآتية.

والحكاية سمعتها من ثقة الإسلام الميرزا محمد الطهراني (رحمة الله عليه) صاحب «مستدرك البحار»، وهي أن خاتمة المجتهدين الحاج الميرزا حسين النوري (رضوان الله عليه) كان يهتم ويبالغ في قضاء حوائج اخوانه المؤمنين، يعني الشيعة الإثنا عشرية، أكثر من الحدّ المتعارف، فسأله بعض تلامذته عن سرّ هذا الاهتمام، فقال في جوابه:

إنّا لا نجد بين الفرائض والسُنن عملاً يصل في الفضيلة والثواب لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، ومع وجود ذلك فقد رأيتُ في الأخبار أنّ ثواب قضاء حاجة الأخ المؤمن أعلى من ثواب زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، ولذا فأنا أهتم بهذا الأمر أكثر من اهتمامي بسائر الأعمال الأخرى».

ومن راجع بدقّة الأخبار الواردة في هذا الباب يجد صحّة ما ادّعاه المحدّث.

ونذكر من باب المثال بعض هذه الأحاديث يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«والله إنّ المؤمن لأعظم حقّاً من الكعبة»[1].

ويروى عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال:

«من طاف بالبيت سبعة أشواط كتب اللهُ له ستّة آلاف حسنة ومحىٰ عنه ستّة آلاف سيئة، ورفع الله له ستّة آلاف درجة.

وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طوافٍ وطواف، حتّى عدَّ عشرة»[2].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) الاختصاص ص(٢٧ و٢٨)، بحار الأنوار ج٧٤، ص٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج٧٤، ص٢٢٧.

«ما قضىٰ مسلم لمسلم حاجة إلاّ ناداه الله: على ثوابك ولا أرضىٰ لك بدون الجنّة»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«احرصوا على قضاء حوائج المؤمنين وإدخال السرور عليهم ودفع المكروه عنهم، فانّه ليس من الأعمال عند الله عز وجلّ بعد الإيمان أفضل من إدخال السرور على المؤمنين»[2].

الحادي عشر: تدارك ما فات من الأمور المذكورة مهما أمكن حينما ينتبه إلى ذلك.

الثاني عشر: سلب الأخلاق المذمومة مثل الكبر والبخل والحسد وأمثال ذلك عن نفسه بالرياضة والمضادّة، ويقيّد نفسه بالأخلاق المحمودة كحُسن الخُلق والسخاء والصبر وغير ذلك إلى أن تحصل له الملكة.

الثالث عشر: ترك المنهيات جملة، وإذا ارتكب معصيةً على سبيل الندرة فليتداركها سريعاً بالإستغفار والتوبة والإنابة ليصير محبوب الحق تعالى.

﴿إنَّ الله يُحبُّ التَوّابينَ﴾[3].

و«إنَّ الله يحبّ كلَّ مُفتَتن توّاب».

الرابع عشر: ترك الشبهات الموجبة للوقوع في المحرّمات وقد قالوا:

«مَن ترك أدباً حُرم سُنّةً، ومَن ترك سُنَّة حُرمَ فريضة».

---

(١) بحار الأنوار ج٧٤، ص٢٢٩.
(٢) بحار الأنوار ج٧٤، ص٣١٣.
(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

الخامس عشر: عدم الخوض فيما لا يعني فانّه يوجب القسوة والخسران. وفي الحديث:

«مَن طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه».

وإذا صدر منه ذلك غفلةً فليتداركه بعد التنبّه بالاستغفار والإنابة.

﴿إنَّ الذّينَ اتَّقوا إذا مَسَّهُم طائفٌ مِن الشَّيطان تَذَكَّروا فَإذا هُم مُبصِرونَ * وإخوانُهُم يَمُدّونَهم فِي الغَيّ ثُمَّ لا يُقصِرون﴾[1].

وما لم ينتهِ عن مجالسة البطّالين والمغتابين والثرثارين فانّه لا يتخلّص ممّا لا يعنيه. وليس هناك شيء مثله في إحداث القسوة والغفلة وتضييع الوقت.

السادس عشر: ليكن شعار البناء هو: قلّة الأكل وقلّة النوم وقلّة الكلام، والتي لها دخل تام في تنوير القلب.

وطالب الأحاديث الواردة في كل هذه الأمور الثلاثة عليه بمراجعة كتب الحديث والأخلاق. ويكفي في بيان عظمة منزلتها وتأثيرها في تزكية النفس وتصفية الروح وتهذيب الأخلاق أنّ بعض الأكابر عدّها أصل وأساس جميع الصفات الحميدة والأخلاق المرضيّة، واعتبر مكارم الأخلاق منحصرة فيها. وكذلك فقد نقل الشيخ البهائي رحمه الله في «الكشكول» عن بعض العرفاء ـ وهذه هي نصّ عبارته ـ:

«قال بعض العارفين: جُمعت مكارم الخصال في أربع: قلّة الكلام، وقلّة الطعام، وقلّة المنام، والاعتزال عن المنام»[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان (٢٠١ و٢٠٢).

(٢) كشكول الشيخ البهائي ج٥، ص٦١٠، طبع طهران.

ونُسب إلى ابن عبّاس هذه الأبيات الأربعة:

«إذا كثَرَ الطعام فحذّروني . . . فَإنَّ القلبَ يُفسُده الطعامُ.

إذا كَثُرَ المنامُ فَنَبّهوني . . فَإنَّ العُمرَ يُنقصُه المَنامُ.

إذا كَثُرَ الكَلامُ فَسَكتُوني . . . فَإنَّ الدّينَ يَهدمُه الكَلامُ.

إذا كَثُرَ المشيبُ فَحَرَّكوني . . . فإنَ الشيبَ يتبَعُه الحِمامُ».

وقد ورد في المثل العربي المعروف:

«البطنة تُذهبُ الفطنة»[١].

قال في «أقرب الموارد»:

«البطنة: الكظَّة، وهي أن تمتلىء من الطعام إمتلاءً شديداً. ومنه المثل (البطنة تَأفَنْ الفطنة) أي تذهبها».

ومن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام:

«إذا ملأ البطن من المباح عَمىٰ القلبُ عن الصلاح»[٢].

وقال الواعظ القزويني رحمه الله في «أبواب الجنان»:

ومن المواعظ التي أوصىٰ بها لُقمان إبنه هي:

«يا بني إذا امتلئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة»[٣].

ومَن أراد تفصيل فوائد كل من هذه الخصال الثلاثة فليراجع الكتب

---

(١) تاج العروس.

(٢) كشكول الشيخ البهائي ج٣، ص٢٥٣.

(٣) أبواب الجنان، أوائل المجلس الخامس.

المفصّلة في الحديث والأخلاق، لأنَّ هذا المختصر لا يتسع لتفصيلها وشرحها. ولكن ينبغي الإلتفات إلى أنّ القلّة في الأمور المذكورة يجب أن لا يصل إلى حدّ الإفراط لأنّها ستصل حينئذٍ إلى درجة الضرر بالنفس، وتلك الدرجة أيضاً حرام شرعاً وغير لائقة.

يقول العلاّمة المجلسي رحمه الله في أواخر «رسالة الاعتقادات»:

«وعليك بقلّة الأكل والنوم، لا ترك الحيواني أو شيء ممّا أنعم الله به عليك، ولا بحيث يخف بدنك ولا تقدر على العمل، فانّ البدن مطيّتك وتحتاج إلى تقويتها للأعمال الكثيرة».

وسنفصّل الحديث في المستقبل ضمن البحث في بدعة إلتزام الأربعين وترك ما هو حيواني الذي قرّره الصوفية ونبيّنها بشكل أوسع من هذا المورد إن شاء الله تعالى.

السابع عشر: تلاوة مقدار من القرآن في كل يوم، وأقلّه خمسين آية بتدبّر وتأمّل وخضوع، وإذا وقع بعض ذلك في الصلاة كان أفضل.

وهذه العبارة مقتبسة من الحديث الشريف الذي رواه الكليني رحمه الله في «الكافي»، ونصّ عبارة الحديث سنداً ومتناً كالآتي:

«علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: القرآن عهد الله على خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[١].

وقال العلامة المجلسي (رحمه الله) في «مشكاة الأنوار»:

«ونقل بسند معتبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: من قرأ في كل ليلة

---

(١) مرآة العقول ج٢، ص٣٤.

عشر آيات كُتب اسمه من الذاكرين، وإذا قرأ مائة آية كُتب اسمه من القانتين، وإذا قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، وإذا قرأ خمسمائة آية لم يكتب من الغافلين، وإذا قرأ خمسين آية كُتب من الجماعة التي تسعىٰ في عبادة الله كثيراً، وإذا قرأ ألف آية كُتب له قنطار من الجميل، كل قنطار ألف مثقال، وكل مثقال أربع وعشرين قيراطاً، وقيراطه الأصغر مثل جبل أحد، وقيراطه الأكبر ما بين السماء والأرض»[1].

ومن جملة النصوص الدالّة على هذا المطلب ما ذكره المجلسي رحمه الله في «مشكاة الأنوار»:

«نُقل عن الإمام الباقر عليه السلام بسندٍ مُعتبر أنّه قال: من قرأ القرآن وهو قائم في صلاته كتب الله تعالى له بكل حرف خمسين حسنة، وإذا قرأه في غير الصلاة كتب له بكل حرف عشر حسنات».

وقال مصنّف هذا الكتاب ـ يعني الفيض (رحمه الله) ـ في المقدمة العاشرة من «تفسير الصافي»:

«الكليني (رضوان الله عليه) بإسناده عن محمد بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام ومرسلاً عن أبي عبد الله عليه السلام قالا: من استمع حرفاً من كتاب الله تعالى من غير قراءة كتب الله تعالى له به حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة. ومن قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات. قال: لا أقول بكل آية ولكن بكل حرف، باء أو تاء أو شبههما. قال: ومن قرأ حرفاً وهو جالسٌ في صلاته كتب الله له خمسين حسنة ومحا عنه خمسين درجة. ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة.

(١) مشكاة الأنوار، في أول الكوكب السابع.

ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجَّلة. قال: جعلت فداك ختمة كلّه؟ قال: ختمه كلّه»[1].

الثامن عشر: أن يكون لك مجموعة من الأذكار والدعوات بنحو تكون ورداً لك في أوقات معيّنة، خصوصاً بعد صلوات الفريضة. وإن استطعت أن تجعل لسانك في أكثر الأوقات مشغولاً بذكر الحقّ وان كانت جوارحك مشغولة في أعمال أُخرى فهي السعادة.

نُقل عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام كان لسانه في أكثر الأوقات مشغولاً بذكر الكلمة الطيبة (لا إله إلاّ الله) إن أكل شيئاً أو تكلّم أو كان يسير في الطريق إلى غير ذلك. وهذا عون وإمداد قوي للسالك. وإذا كان الذكر القلبي مقارن للذكر اللساني فانّه سينال فتوحات كثيرة في زمن قصير، ليتمكّن من السعي لأن يكون ذاكراً للحقّ نفساً بعد نفس لئلاّ يغفل. ويلحقه أي أمر في التأثير على السلوك. وهو عون قوى في ترك مخالفة الحق بالمعاصي.

التاسع عشر: صُحبة العالم وسؤاله والاستفادة من العلوم الدينيّة بقدر طاقته ليتمكّن من إضافة علمٍ إلى علمه. «أكيس الناس من جمع علم الناس إلى علمه».

قال العالم الجليل السيّد عبد الله الجزائري رحمه الله في أول إجازته الكبيرة في حقّ الشيخ محمد والشيخ إبراهيم اللذين استجازاه في مقام ذكر سبب استجازتهما له، قال:

«وذلك لا حاجة منهما إليه بل توسّعاً في طرق الرواية وتصديقاً لحديث أمير المؤمنين عليه السلام: أكيس الناس من ضمَّ علم الناس إلى علمه».

---

(١) بحار الأنوار ج١٧، ص٣٣.

ونقل العلاّمة المجلسي رحمه الله في «البحار» ضمن حديث طويل من كتاب الخصال للصدوق رحمه الله و«معاني الأخبار» له أيضاً و«كنز الفوائد» للكراجكي رحمه الله، وكتاب «الغايات» لأبي محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي رحمه الله عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم:

«وأعلم الناس من جَمَعَ علم الناس إلى علمه...».

ونقله في «البحار» أيضاً عن «المحاسن» للبرقي بهذه العبارة:

«النوفلي عن علي بن سيف رفعه قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام: مَن أعلم الناس؟ قال: من جمع علم الناس إلى علمه»[1].

ويعتبر صحبة الأعلم منه فوز عظيم، وإذا وجد عالماً عاملاً بعلمه فيلزم عليه اتّباعه وأن لا يخرج عن حكمه. وما يقوله الصوفية عن الشيخ هو عبارة عن مثل هذا الشخص والمراد بالعلم علم الآخرة لا علم الدنيا. وإذا لم يجد مثل هذا الشخص ولم يحصل على من هو أعلم منه فليصحب الكتاب والناس ذوي السيرة الصالحة ليكتسب منهم الأخلاق الحميدة. وكل صحبة تذكّرك بالحق والنشأة الآخرة فلا تضيعنَّ من يدك.

صحبة الكتاب

لا يخفى على الباحثين المتضلّعين في العلم والمعرفة بأن لصحبة الكتاب منزلة رفيعة عند العقلاء والعرفاء، وهو وصيّة قادة الأمم ومرشدي الخير والشر لأتباعهم. والخوض في هذا الموضوع يحتاج إلى كتاب مستقل، وكان في نظر خاتمة المحدّثين الميرزا حسين النوري الطبرسي (رضوان الله عليه) تأليف كتاب في هذا الموضوع، وقد شرع في ذلك فعلاً

(١) بحار الأنوار ج١، ص٩٥.

ولكن الأجل لم يمهله، ولذا لم يتجاوز كتابه حدود المقدمة وذكر بعض المطالب المختصرة، وتوجد نسخة من هذا الكتاب عندي، وفي نيّتي إتمام ما شرع به إن شاء الله تعالى وطبعه ونشره بين أيدي القرّاء الكرام. ونكتفي هنا بذكر موجز عن ذلك.

نقل العلاّمة المجلسي رحمه الله في «البحار» عن «الخصال» للصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ستُّ خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يُقرأ فيه، وقليب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماءٍ يجريه، وسنّة حسنة يؤخذ بها».

وقال الواعظ القزويني رحمه الله في «أبواب الجنان»:

«ومن المأثور عن أفضل العالمين صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

خمسة في قبورهم وثوابهم يجري إلى ديوانهم: من غرس نخلاً، ومن حفر بئراً، ومن بنىٰ مسجداً، ومن كتب مصحفاً، ومن خَلَف إبناً صالحاً»[1].

والمراد من لفظ «المصحف» في هذا النوع من الأخبار ليس هو القرآن المجيد فقط، بل جميع الكتب التي لها علاقة قريبة بالقرآن المجيد داخلة تحت عنوان «المصحف، ومشمولة لمعناه، والله أعلم».

وقال الكليني رحمه الله في «الكافي»:

«عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:

اكتب وبُثَّ علمك في إخوانك، فإن مِتَّ فأورث كتبكَ بنيك فإنّه يأتي

(١) أبواب الجنان، أواخر المجلس الرابع.

على الناس زمانٌ هرجٌ لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم»[١].

قال المجلسي رحمه الله في شرح ذلك:

«قوله عليه السلام: «فأورث كتبك بنيك» أي اجعل كتبك بشكل تصل إلى أيدي أبنائك بعدك وتبقى عندهم، أو علّم أبنائك ما في بطون هذه الكتب وأمرهم بروايتها. والهرج يعني الفتنة والاختلاف، وهو زمان الغيبة حيث تكثر في ذلك الزمان الفتن واختلاط الحق والباطل. وفيها دلالة على إمكان الرجوع إلى الكتب في ذلك الزمان»[٢].

وينبغي العلم بأنّ العلماء قد قالوا الشيء الكثير من الشعر والنثر البديع في مدح الكتاب والأنس به ومطالعته، وكما قُلنا فانّ الإحاطة بذلك يحتاج إلى كتاب مطوّل جدّاً، ولكن نكتفي هنا بذكر شيء يسير.

ولا يخفى أنّه كما أنّ العقل متفوق على الحس الظاهري، والمعقول أعلى من المحسوس بالحواس الظاهرية، فبنفس النسبة تكون روضة الأزهار المعنوية أفضل من روضة الأزهار المادية.

قال الجاحظ في أوائل كتاب «المحاسن والأضداد» ضمن كلمات مفصّلة في مدح الكتاب:

«وقال بعض الحكماء: الكتب بساتين العلماء، وقال آخر: الكتاب جليس لا مؤونة له، وقال آخر: الكتاب جليس بلا مؤونة، وقال آخر: ذهبت المكارم إلاّ من الكتب».

يقول الكاتب: الكلام الأول أي «الكتب بساتين العلماء، منسوبٌ في الكتب الأخرى إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وقريب لمضمونه ما قيل شعراً:

(١) أصول الكافي، باب رواية الكتب والحديث، مرآة العقول ج١، ص٣٧.
(٢) مرآة العقول ج١، ص٣٧.

ولكــلّ طـــالـــب لـــذّة مُتنـــزّه وألـــذّ نـــزهـــة عـــالـــم فـــي كتبـــه[1]

وقريب لمضمون الكلام الثاني هذا البيت للمتنبي:

أعـزُّ مكـانٍ فـي الـدّنـا سـرج سـابـح وخيـر جليـسٍ فـي الـزمـان كتـابُ

والبيهقي في كتاب «المحاسن والأضداد» نقل عن أحد الشعراء في ضمن بيان مفصّل نثراً وشعراً في مدح الكتاب قوله:

نِعـمَ المحـدّثُ والـرفيـقُ كتـابٌ تلهـو بـه ان خـانـك الأصحـابُ
لا مُفشيـاً سِـرّاً إذا اسْتـودعتَـه وتُنـالُ منـه حكمـةٌ وصـوابُ

وقال آخر:

نِعـمَ الجليـس بعقـب قُعـدة صخـرةٍ للملـكِ والأدبـاءِ والكتّـابِ
وَرقٌ تضمَّـن مـن خُطـوط أنـامـلٍ مَـرعـىً مـن الأخبـار والآدابِ
يحلـو بـه مَـن مَـلَّ مـن أصحـابـه فيُقـال خلـوٌ وهـو فـي الأصحـابِ

وقال: وأنشد أبو الحسن علي بن يحيى النديم رحمه الله:

إذا مـا خلـوتُ مـن المـؤنسيـن جعلـتُ المحـدّثُ لـي دفتـري
فلـم أخـلُ مـن شـاعـرٍ مُحسـنٍ ومـن مضحـكٍ طيّـبٍ مُنـذر
ومـن حِكَـمٍ بيـن أثنـائهـا فـوائـد للنـاظـرِ المفكّـرِ
وإن ضـاق صـدري بـأسـراره وأودعتُـه السـرّ لـم يُظهـر
وإنَّ صـرَّحَ الشعـرُ بـاسـم الحبيـب لَمـا احتشمـتُ ولـم أحصِـر
وإن عُـذتُ مـن ضجـرةٍ بـالهجـاء ولـو فـي الخليفـةِ لـم أحـذر
فنـادمـتُ منـه كـريـم المغيـبُ لنـدمـانـه طيّـبُ المحضـرِ
فلسـتُ أرى مُـؤثـراً مـا حييـت عليـه نـديمـاً إلـى المحشـرِ

(١) كشكول الشيخ البهائي ج٥، ص٥٣٨.

وقيل: ذهب شخص إلى بيت أحد العلماء وطلب الاذن بلقاءه، فأجيب بأنّه يقول: بأني الآن في محضر جماعة من العظماء وأنا مشغول معهم في بحث أمرٍ مُهم، ومن هذه الجهة لا استطيع اللقاء معك الآن. فرجع ذلك الرجل وجعل له بالقرائن القطعية العلم بأنّ أحداً من العظماء لم يكن بحضرة ذلك العالم في تلك الساعة التي طلب فيها الإذن بالدخول. ولمّا كان ذلك الرجل مطمئناً إلى قول ذلك العالم فقد صمَّم على اللقاء به وسؤاله عن سرّ قوله ذاك. فتحقّق له ذلك وأجابه العالم بأنّني في تلك الساعة كنت مشغولاً في تحقيق اجدى المطالب من الكتب، وبما أن مطالعة الكتب هو في حكم الحوار والمحادثة مع مصنّفيها فمن هذه الجهة قلت لكم بأنّ جماعة من العظماء هنا، وكان قصدي من كلامي هو هذا.

وقال مونتسكيو الكاتب الفرنسي في القرن الثامن عشر الميلادي (ولد سنة ١٦٨٩ وتوفّي في سنة ١٧٥٥) في باب مدح المطالعة والأنس بالكتاب، على ما هو مشهور عنه:

«ما حصل لي غم أبداً إلاّ وبادرت إلى المطالعة ساعة في كتاب حتى زال ذلك الغم».

وهذا الكلام في الواقع مأخوذ من حديث منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَن تسلّىٰ بالكتاب لم تفته سَلوةٌ».

وأنشد شاعر عربي:

كفى سلوة الأحزان خلوة ساعة ... بكتب تكن فيها عويص المسائل

جليس كما ترضى فصيح وساكتٌ ... كليم بما تهوى مجيبٌ وسائلُ

وقال الأديب المقدسي (أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق) في كتاب «اللطائف والظرائف والأضداد» بعد أن نقل كلمات عن الجاحظ:

«ثم قال (أي الجاحظ)... ولولا الكتب المدوّنة والأخبار المقيَّدة لبطل اكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الفهم».

وقال مؤلّف الكتاب (أي الأديب المقدسي):

حدّثني صديق لي قال: قرأت على شيخ كتاباً فيه مآثر غطفان فقال: ذهبت المكارم إلاّ من الدفاتر.

ويقول المؤلف (الأديب المقدسي):

سمعتُ الحسن اللؤلؤي يقول: عبرت أربعين عاماً ما قلتُ ولا بتُّ إلا والكتاب موضوع على صدري.

وقال المؤلف: وكثيراً ما أذكرني آكل الوجبة وأنا أنظر في كتاب جديد وقع إليَّ ولا أصبر عنه إلى وقت فراغي من الأكل.

وسمعتُ أبا نصر سهل بن المنهان يقول كثيراً ما أفعل مثل ذلك.

وكان يقول:

إنفاق الفضة على كتب الآداب يُخلف عليك ذهب الألباب».

وكتبَ الحسن بن طباطبا العلوي في بعض كتبه:

«الكتب حصون العقلاء إليها يلجأون، وبساتينهم بها يتنزّهون».

وقال أيضاً:

اجعل جليسكَ دفتراً في نشره ... للميت من حكم العلوم نُشورُ
وكتابُ علمٍ للأديب مؤانس ... ومؤدّبٌ ومبشّرٌ ونذيرُ

ومفيـــدُ آدابٍ ومـــؤنـــس وحشـــةٍ وإذا انفـــردتُ فصـــاحـــبٌ وسميـــرُ

ولا يسع هذا المختصر البحث أكثر من ذلك، وإلاّ فللبحث مجال واسع. ولكن تجدر الإشارة هنا إلى الشرط المهم للاستفادة من الكتاب.

الشرط المهم للاستفادة من الكتاب: ينبغي التنبيه هنا إلى مطلب مهم جداً جداً وهو أن الشرط الأول في الاستفادة من الكتاب ورعاية ذلك منذ الوهلة الأولى واللازم لكل قارىء هو الكتاب الذي يطالعه يجب أن يكون من الكتب المفيدة والنافعة، لأنّه وكما اتضح ممّا سبق أنّ الكتاب بمنزلة الصاحب الذي يتحدّث مع القارىء. إذن فهو بمثابة المتكلّم والناطق والمحدّث الذي يجلس إليه المستمع ليستفيد من كلماته وينتفع من بياناته. ولذلك فهو داخل تحت عنوان هذا الحكم الكلي:

«مَن أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عَبَدَ إبليس».

وهو نص حديث صريح صادر عن المعصومين عليهم السلام. واتضح أنّه بمقدار ما يكون للكاتب وللمصنّف من عظمة وجلالة ووعي وكثرة علم فسيكون القارىء منتفعاً ومستفيداً منه بذلك المقدار وأمّا إذا كان الكاتب وصاحب الأثر ـ والعياذ بالله ـ من أتباع إبليس وجنوده، أي من شياطين الإنس والجن، كائناً من كان، ويُحرف أفكار قارئه بالتدريج ويخرجه من طريق سعادة الدنيا والآخرة، ولكلا هذين الطرفين مراتب كثيرة من الاصلاح والإفساد. فيجب على العاقل إذن في الدرجة الأولى مطالعة الصحف السماوية الشريفة، ثم الكتب الصحيحة القديمة التي تُفيد العلم والأخلاق والإرشاد إلى طريق النجاة والدالة على تحصيل السعادة الأبدية والإعانة على إصلاح أمر المعاش والمعاد ولا أقلّ مطالعة الكتب التي إن لم يكن نفع لها فلا ضرر بها، وإلاّ فستكون السبب بهلاك القارىء (وقيل: إنّ سرّ تحريم

تعليم وتعلّم وكتابة واستنساخ وإشاعة ونشر وحفظ وإبقاء وبيع وشراء كتب الضلال - إلاّ في بعض الموارد للردّ عليها وإبطالها - في دين الإسلام المقدّس والشريعة المحمّدية الغرّاء هو هذا الأمر) ونكتفي إلى هنا بهذه الإشارة وإلاّ فحقّ المطلب يسع أكثر من ذلك.

* * *

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله في أواخر «رسالة الاعتقادات»: «وعليك بقلّة مصاحبة الفاسقين والظالمين ومعاشرتهم فإنّ لصحبتهم تأثيراً عظيماً في قساوة القلب وبُعدك عن الله، إلاّ أن تجد من نفسك أنَّ غرضك هدايتهم أو دفع ظلم عن مظلوم أو كنت تتقي منهم، وعليك أن تختار من تجالسه وتصحبه ويكون معيناً لك على آخرتك، ولا تصحب كل من تراه فانّ صحبة أكثر أهل زمانك تضرّ بدينك ودنياك. قال الحواريون لعيسىٰ عليه السلام: يا روح الله مَن نجالس؟ قال: مَن يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله»[1].

وهو نصّ عبارة حديث مروي بطرق معتبرة في الكتب المعتمدة عن المعصومين عليهم السلام، من جملتها كتاب «الكافي»، ونظير ذلك أيضاً ما نقله في «مستدرك الوسائل» عن «أمالي» الشيخ الذي رواه بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال:

«قيل: يا رسول الله أي الجلساء خيرٌ؟ قال: من ذكركم بالله رؤيته، وزادكم في علمه منطقه، وذكركم بالآخرة عمله»[2].

وينبغي أن تسكت عمّا لا يعنيك، ولا تتكلّم في الحلال والحرام بغير علم فإنّ المفتي في شفير السعير وقد قال تعالى:

---

(١) مستدرك الوسائل ج١، ص٤٠٠.

(٢) الكافي، كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب ومرآة العقول ج٣، ص٣٨٥.

﴿قُلْ إنَّ الذينَ يفترونَ على اللهِ الكَذبَ لا يُفلحونَ﴾[1].

وقال أيضاً:

﴿ويَومَ القِيامَةِ تَرىٰ الَّذينَ كَذبُوا على اللهِ وجوهُهُم مُسْودَّةٌ﴾[2].

«وينبغي أن تغتنم صحبة العلماء الربانيّين وتأخذ عنهم معالم دينك، وتلاقي الزاهدين والمتعبّدين كثيراً ليعظك أعمالهم وأقوالهم وأطوارهم».

العشرون: معاشرة الناس بحُسن الخُلق والإنشراح، لكي لا يكون ثقيلاً على أحد، ويحملون أفعاله على الظن الحسن، وأن لا تظن سوءاً بأحد.

الحادي والعشرون: أن يكون شعاره في بناء نفسه: الصدق في الأقوال والأفعال.

الثاني والعشرون: التوكّل على الحقّ سبحانه وتعالى في جميع الأمور، وعدم النظر إلى الأسباب، والإجمال في طلب الرزق وعدم الجدّ كثيراً في ذلك، وأن لا يفكر فيها طويلاً، وأن يقنع بالقيل ويترك الفضول الى حدّ الإمكان.

وهذا المضمون مُصرّح به ومدلول عليه في أخبار كثيرة مروية عن المعصومين عليهم السلام، ومن شاء المزيد عليه بمراجعة الأبواب المعقودة لذلك تحت عنوان «الإجمال في الكسب، أو في الطلب» ونظائرها. والكلمة الجامعة في هذا الباب هي القاعدة التي أعطاها الإمام الصادق عليه السلام لأتباعه حول الكسب:

---

(١) سورة يونس، الآية (٦٩).

(٢) سورة الزمر، الآية (٦٠).

«ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المُضيّع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن إليها، ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف، ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بدّ منه، إنّ الذين أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم»[1].

ومعنى الإجمال في الطلب هو العمل على وفق ما ورد في هذا الحديث الشريف وفقط. وقال الواعظ القزويني رحمه الله في «أبواب الجنان» بعد ذكر الخبر المذكور:

«يا بُني لا تدخل في الدنيا دخولاً يضرُّ بآخرتك، ولا تتركها تركاً تكون كلاً على الناس».

الثالث والعشرون: الصبر على أذى الأهل والأقارب، والسيطرة على الأعصاب بسرعة وعدم الغضب، ومهما ازداد الأذى فتلقّاه بعدم المبالاة فانّ ذلك يوصل إلى الهدف بسرعة.

والأخبار في هذا الباب كثيرة، والمقام لا يسع لنقلها، وطالب هذه الأخبار يراجع الأبواب المناسبة لهذا المطلب (مثل باب الحلم، المداراة، التقية، الصبر على الشدائد، تحمّل النوائب، الشكر، كظم الغيظ، شدّة ابتلاء المؤمن) في كتب الأحاديث.

ونقل الصدوق رحمه الله في «الأمالي» عن الإمام الرضا عليه السلام:

«أنه سُئل عليه السلام ما العقل؟ فقال: التجرّع للغصّة، ومُداهنة الأعداء، ومداراة الأصدقاء»[2].

وهنالك أخبار كثيرة بهذا المضمون نُقلت في الكتب المعتمدة بأسانيد

---

(١) أنيس الأدباء ص ١٦٢.
(٢) حياة القلوب، أوائل المجلد الأول، الباب الأول.

معتبرة، كالحديث المأثور عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم:

«نحن معاشر الأنبياء أشدّ الناس بلاءً فالمؤمن الأمثل فالأمثل».

وجاء في حديث نبوي آخر بهذه العبارة:

«أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الصالحون».

وفي حديث آخر:

«أشدّ الناس بلاءً في الدنيا النبيّون ثمّ الأمثل فالأمثل».

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ أشدّ الناس بلاءً النبيّون ثم الوصيّون ثمّ الأمثل فالأمثل».

ونقل عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأماثل فالأماثل».

ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل».

يقول الكاتب: والطالب لأسانيد الأحاديث السابقة وصدرها وذيلها (لأنّي ذكرتها مُلخّصاً واكتفيت من متونها بذكر محل الشاهد).

يراجع الكتاب الشريف «وسائل الشيعة» وكذلك الكتاب النفيس «مستدرك الوسائل». ومَن كان راغباً في التفصيل لبعض الفقرات السابقة فليراجع الكتاب الشريف والنفيس «بحار الأنوار»[1] والذي يمكن القول بأنه دائرة معارف الفرقة الحقّة الإثنا عشرية، أو مراجعة «مرآة العقول».

ولا يخفى أن هنالك أخباراً كثيرة مؤيّدة ومؤكّدة لمضامين الأخبار

(١) بحار الأنوار ج١٥، ص٥٢ ـ ٦٨.

السابقة من قبيل:

«وهو يُبتلى إلاّ المؤمن».

«إنّ الله يتعهّد عبده المؤمن بأنواع البلاء كما يتعهّد أهل البيت سيّدهم بطرف الطعام».

وفي حديث آخر، جزءه الأخير هكذا:

«كما يتعهّد الغائب أهله بالهدية».

«إنّ البلاء أسرع إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادي».

ونظائر وأشباه هذه المضامين كثيرة وطالبها يجب عليه مراجعة الكتب المفصّلة. وقد أُلِّف كتاب نفيس في هذا الباب بأسم «التمحيص» ومراجعته تُغني عن مراجعة غيره في هذا الباب.

الرابع والعشرون: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الوسع والطاقة، ومشاركة الآخرين في أفراحهم وأحزانهم وإشراكهم مع نفسه في السلوك إذا كان له قوة نفس، وإلاّ فيجتنب صحبتهم مع المداراة والتقيّة لئلاّ يوجب الاستيحاش.

الخامس والعشرون: تنظيم أوقاته، وأن يكون له وردٌ في كل وقت من الليل والنهار حتى لا تضيع أوقاته «فانّ كل وقت تابع للموقوت» وهذا أمر أساسي في السلوك وهذا هو الذي وصلنا عن المعصومين (صلوات الله عليهم) والذي عملوه بأنفسهم وادّعاه الآخرون. وأمّا الإلتزام بالأربعين يوماً وعدم أكل ما هو حيواني و«ذِكر الأذكار الأربعة» وغير ذلك ممّا هو منقول عن الصوفية، فهو لم يرد عنهم عليهم السلام.

وقد نُقلت العبارة بهذا النحو في أغلب النُسخ، ولكن في بعض النسخ

بدل، «وذكر الأذكار الأربعة» هذه العبارة:

«والذكر الجلي والخفي»، وأظن أنّ العبارة الثانية صحيحة، وعبارة أغلب النسخ أي «وذكر الأذكار الأربعة» مصحّفة ومحرّفة (والأمارة التي أرشدتنا إلى هذا الظن سنذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى). وعلى كل حال بما أنّ هذين الذكرين الجليّ والخفي من بدع الصوفية المُنكرة جداً وحتى إذا قلنا بأنّ عبارة المصنّف رَحِمَهُ الله كانت كما في المتن ولم يكن هناك تصحيف في البين ولم ينفع ظنّنا في المقام، فانّ هذا الذكر سيكون داخلاً أيضاً تحت العنوان الكلي لعبارة «وغير ذلك ممّا هو منقول عن الصوفية»، وبناءً على هذا نقوم بشرح ذلك بشكل يناسب هذه التعليقات.

قال المصنّف رَحِمَهُ الله في «الكلمات الطريفة»[1] في ذم الصوفية وتقبيح أعمالهم:

«تقبيح: ومن الناس من يزعم أنّه بلغ من التصوّف والتألّه حدّاً يقدر معه أن يفعل ما يريد بالتوجّه، وأنّه يُسمع دعاؤه في الملكوت، ويُستجاب نداؤه في الجبروت، يُسمّى بالشيخ والدرويش، وأوقعَ الناس بذلك في التشويش فيفرطون فيه أو يفرّطون، فمنهم من يتجاوز به حدّ البشر، وآخر يقعُ فيه بالسوء والشرّ يحكي من وقائعه ومناماته ما يوقع الناس في الريب، ويأتي في أخباره بما ينزل منزلة الغيب، ربما تسمعه يقول: قتلتُ البارحة ملك الروم ونصرتُ فئة العراق، أو هزمت سلطان الهند وغلبت عسكر النفاق، وصرعتُ فلاناً يعني به شيخاً آخر نظيره، أو أفنيتُ بَهماناً يريدُ به من لا يعتقد فيه أنّه لكبيرة، وربما تراه يقعد في بيت مُظلم يَسرج أربعين يوماً يزعم أنّه يصوم صوفاً ولا يأكل فيه حيواناً ولا ينام نوماً، وقد يلازم مقاماً يُردّد فيه تلاوة سورة أيّاماً يحسب أنّه يؤدّي بذلك دين أحمد من معتقديه، أو

(١) الكلمات الطريفة ص٧٦ ـ ٧٨.

يقضي حاجة من حوائج أخيه، وربّما يدّعي أنّه سخّر طائفة من الجِنَّة ووقىٰ نفسه أو غيره بهذه الجنَّة، افترى على الله كذباً أم به جِنَّة».

ثمّ قال: «تبديع: ومنهم قوم تسمّوا بأهل الذكر والتصدّق، يدّعون البراءة من التصنّع والتكلّف، يلبسون خرقاً ويجلسون حلقاً، يخترعون الأذكار ويتغنّون بالأشعار، يُعلنون بالتهليل، ليس لهم إلى العلم والمعرفة سبيل، ابتدعوا شهيقاً ونهيقاً، واخترعوا رقصاً وتصفيقاً، قد خاضوا في الفتن، وأخذوا بالبدع دون السُنن، رفعوا أصواتهم بالنداء، وصاحوا الصيحة الشنعاء، أمن الضرب تتألمون أم من الرب تتظلّمون أم مع أكفائكم تتكلمون إنَّ الله لا يسمع بالصماخ، فأقصروا من الصراخ، أتنادون باعداً أم توقظون راقداً؟! تعالى الله لا تأخذه سِنة ولا تحيط به الألسنة، سبّحوه تسبيح الحيتان في البحر وادعوا ربّكم تضرّعاً وخيفةً ودون الجهر إنّه ليس منكم ببعيد، بل هو أقربُ إليكم من حبل الوريد».

وقال في ذلك الكتاب أيضاً:

«داهية: وفي الناس مَن يدّعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود، وهو لا يعرف من هذه الأمور إلاّ الأسماء ولكنّه تلفق من الطامات، كلمات يردّدها لدى الأغبياء كأنّه يتكلّم عن الوحي ويخبر عن السماء، ينظر إلى أصناف العلم والعلماء بعين الإزدراء، يقول في العباد: إنّهم اجراء متعبون، وفي العلماء: إنّهم بالحديث عن الله لمحجوبون، يدّعي لنفسه من الكرامات ما لا يدّعيه نبيّ مقرّب، لا علماً أحكم ولا عملاً هَذَبَ، يأتي إليه الرعاع الهمج من كل فج، أكثر من إتيانهم مكّة للحجّ، مُزدحم عليه الجمع ويُلقون إليه السمع وربما يخرّون له سجوداً كأنّهم اتّخذوه معبوداً، يقبّلون يديه ويتهافتون على قدميه، يأذن لهم في الشهوات، ويرخّص لهم في الشبهات، يأكل ويأكلون كما تأكل الأنعام،

ولا يبالون أمن حلالٍ أصابوا أم من حرام، وهو لحلوائهم هاضم ولدينه وأديانهم حاطم، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون، وليحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليُسئلنَّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون، وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مُهتدين.

علاوة: ومن هؤلاء من طوى بساط الأحكام، ورفض الفصل بين الحلال والحرام، وحلَّ قيود الشرع عن عنقه وأطلق، لا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ، متعلّلين تارة بأنّ الله غنيّ عن الأعمال، وأخرى بأنّ التكليف انّما هو لتطهير القلب عن الشهوات، وهو أمر محال، وأخرى بأنّ الأعمال لا وزن لها عند الله وانّما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهةٌ إلى حبّ الله واصلة إلى معرفة الله وانّما نخوض في الدنيا بأبداننا فلا يصدّنا عن سبيل الله عصياننا، كلا سيعلمون ثمّ كلا سيعلمون، إنَّ أعمالك لنفسك احتسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وليس التكليف بقلع الشهوات بل بانقيادها لحكم العقل والشرع بالرياضات، والأبدان تابعة للقلوب والشهادات مشايعة للغيوب، أيّها المغرور فاذهب فمن تبعك منهم فانّ جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً».

ونظير هذا البيان ما قاله العلاّمة المجلسي رحمه الله في أوائل «رسالة الاعتقادات»:

«وطائفة من أهل دهرنا اتّخذوا البدع ديناً يعبدون الله به وسمّوه

بالتصوّف فاتّخذوا الرهبانيّة عبادة مع أنّ نبيّنا ﷺ قد نهىٰ عنها وأمر بالتزويج ومعاشرة الخلق والحضور في الجماعات والاجتماع مع المؤمنين في مجالسهم وهداية بعضهم بعضاً وتعلّم أحكام الله تعالى وتعليمها وعيادة المرضىٰ وتشييع الجنائز وزيارة المؤمنين والسعي في حوائجهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حدود الله ونشر أحكام الله، والرهبانيّة التي ابتدعوها تستلزم ترك جميع تلك الفرائض والسُنن، ثمّ انّهم في تلك الرهبانيّة احدثوا عبادات مخترعة فمنهم الذكر الخفي الذي هو عمل خاص على هيئة خاصّة لم يرد به نصّ ولا خبر، ولم يوجد في كتاب ولا أثر، ومثل هذا بدعة محرّمة بلا شك ولا ريب.

قال رسول الله ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار». ومنها الذكر الجلي الذي يتغنون فيه بالأشعار ويشهقون شهيق الحمار ويعبدون الله بالمكاء والتصدية ويزعمون أن ليس لله تعالى عبادة سوى هذين الذكرين المبتدعين ويتركون جميع السُنن والنوافل ويقنعون من الصلاة الفريضة بنقر كنقر الغراب، ولولا خوف العلماء لكانوا يتركونها رأساً. ثمّ إنّهم لعنهم الله لا يقنعون بتلك البدع بل يحرّفون الكتاب واصول الدين ويقولون بوحدة الوجود، والمعنىٰ المشهور بينهم في هذا الزمان المسموع من مشايخهم كفر بالله العظيم ويقولون بالجبر وسقوط العبادات وغيرها من الأصول الفاسدة السخيفة.

فاحذروا يا اخواني واحفظوا إيمانكم وأديانكم من وساوس هؤلاء الشياطين وتسويلاتهم، وايّاكم أن تخدعوا من أطوارهم المتصنَّعة التي تعلّقت بقلوب الجاهلين».

وقال في الكتاب الشريف «عين الحياة»[1]:

---

(١) عين الحياة ص١٠٠ ـ ١٠٣.

«اللمعة العاشرة في بيان الذكر: اعلم انّ الذكر في اللغة هو التذكّر، ولذكر الله تعالى أنواع:

الأول: ذكر الله تعالى في أثناء ارتكاب المعصية، ثم يذكر الله ويترك المعصية لله تعالى.

الثاني: ذكر الله تعالى في أوقات الطاعة، وبسبب ذكر الله تعالى يسهل عليه تحمّل مشاق الطاعات فيأتي بها.

الثالث: ذكر الله تعالى في حالة الرفاهية والنعمة، فلا ينسيه وفور النعمة ذكر الله سبحانه فيأتي بشكر تلك النعمة.

الرابع: ذكر الله تعالى في حالة البلاء والمحنة فيتضرّع إلى الله تعالى ويصبر على ذلك البلاء.

الخامس: ذكر الله تعالى في القلب فيفكّر في صفات الكمال الإلهي وفي آلاء الله ونعمائه والتفكّر في الدين الحقّ ومعاني القرآن وأحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام والتفكّر في أُمور الآخرة ومكارم الأخلاق وعيوب النفس وسائر الأمور التي بيّنها الله تعالى، فجميع هذه ذكر إلهي.

السادس: الذكر باللسان، وهو على أقسام: مثل مذاكرة العلوم الحقّة والآيات والأخبار ودراستها وبيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وقراءة القرآن والمداومة على ذكر أسماء الله تعالى المتلقّاة من قِبَل الشارع. ولكن يجب أن يكون الذكر بآداب محبوبة للشارع لا بعنوان البدعة، وبقلب واعٍ لما يجري على اللسان. وقد ورد في هذه المضامين أحاديث متواترة، كالحديث المنقول عن رسول الله ﷺ بسندٍ معتبر بما معناه:

كل من أطاع الله فقد ذكره كثيراً وان كانت صلاته وصومه وتلاوته

قليلة، وكل من عصى الله فقد نسي الله وان كانت صلاته وصومه وتلاوته كثيرة.

ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام بأسانيد معتبرة قوله:

(بالمعنى): أصعب الأعمال ثلاثة: انصاف الناس من نفسك، لا ترضى من الآخرين ما لا ترضاه لنفسك وارض لهم ما ترضيه لنفسك، ومواساة الاخوان بالمال، وذكر الله على كل حال، لا قول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر» فقط، ولكن امتثل ما يأمرك الله به واترك ما ينهاك الله عنه.

وورد في حديث آخر (بالمعنى): مكتوب في التوراة:

يا ابن آدم اذكرني حين غضبك حتى أذكرك حين غضبي.

وقال موسى عليه السلام (بالمعنى):

لا شيء أشدّ على الشيطان وحزبه مثل زيارة أخ مؤمن في الله، وإذا التقى المؤمنان وذكر الله تعالى ثم ذكرا فضائلنا أهل البيت ارتجفت كل أعضاء الشيطان ويصرخ لشدّة ما يحلّ به من الألم ويعلم حاله ملائكة السماء وخزنة الجنان فتلعنه، ولا يبقى ملك مقرّب إلا ولعنه.

ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام بسندٍ معتبر قوله (بالمعنى):

الصبر صبران: صبر عن المعصية وهو حسن وجميل، والأفضل منه الصبر على ترك ما حرّم الله. وذكر الله ذكران: ذكر عند المصيبة، والأفضل من ذكر الله حينما يعرض له الحرام فيعرض عنه.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام (بالمعنى):

كل قوم اجتمعوا في مجلسٍ لم يذكروا فيه الله تعالى ولم يذكرونا يكون

عليهم حسرةً يوم القيامة.

ثم قال (بالمعنى):

ذكرنا من ذكر الله وذكر أعدائنا من ذكر الشيطان.

وقال في حديث آخر (بالمعنى):

لا تنزل الصاعقة على ذاكرٍ لله، فسُئل من هو الذاكر؟

فقال: مَن قرأ مائة آية.

وما دام قد عُلم حقيقة الذكر فاعلم أنّ هنالك ذكران شائعان بين الصوفيّة، وكلاهما بدعة، وكانوا يعدّونهما من أفضل العبادات فضيّعوا أعمارهم في ذلك وأضلّوا الناس وهما:

الأول: الذكر الجليّ، وهو يشمل عدّة أُمور:

١ - إنّ هذا النحو من العبادات لم تُتلقّى من الشارع، وقد ورد في الآيات والأخبار في كيفيّة الذكر الجليّ على خلاف ذلك، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ٱدْعُوا رَبَّكم تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إنَّهُ لاَ يُحبُّ المُعْتَدين﴾(١).

وقال أيضاً:

﴿وَاذكر رَبَّك فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخيفَةً ودونَ الجَهْرِ منَ القَوْلِ بالغُدوِّ والآصالِ وَلا تكُنْ مِن الغَافِلين﴾(٢).

ونُقل أنّ النبيّ الأكرم ﷺ سمع جماعة يرفعون أصواتهم بالتهليل

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٠٥).

والتكبير، فمنع من ذلك وقال: إنّ النداء لمن لا يسمع أو لمن كان بعيداً.

ونُقل بأسانيد صحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام أن موسىٰ عليه السلام سأل الله تعالى: يا إلهي هل أنت قريب فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فجاءه الجواب: أنا جليس مَن ذكرني. يعني أنّه لا صراخ في البين.

ونُقل بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال (بالمعنى):

شيعتنا من يذكرون الله سرّاً وفي الخلاء.

ونقل بسندٍ معتبر آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الحقّ سبحانه وتعالى يقول:

من ذكرني سرّاً ذكرته علانية.

ونقل بسند معتبر آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال (بالمعنى):

من ذكر الله سرّاً فقد ذكر الله كثيراً، والمنافقون يذكرون الله علانية ولا يذكرونه سرّاً، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه فقال:

﴿يذكرون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلا﴾.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام (بالمعنى):

ثواب من ذكر الله في نفسه لا يعلمه إلاّ الله لعظمة ذلك الذكر.

نعلم من هذه الآيات والروايات إذن أنّ هذا النحو من الصراخ في الذكر غير محمود في الشرع، وقد علمت في تعريف البدعة أنّ هذا القسم من الأمور الذي لم يرد في الشارع وأتي به بعنوان العبادة هو بدعة.

٢ ـ الغناء وإدارة الذكر على حلقة الجالسين، والأشعار الغزلية والملحدة وقراءتها بنغمة وطرب حرام باجماع علماء المسلمين. كما عُلم

في باب الغناء[1] بقطع النظر عن الأعمال الشنيعة التي يمارسونها في أثناء ذلك من التصفيق على نغمة وقد ذمّ الله تعالى في القرآن الكفارَ على ذلك[2] والرقص، مذموم في الشرع والعقل يحكم بقبح ذلك.

٣ ـ إنّ إتيان هذه الأعمال في المساجد وقراءة الاشعار فيها مذموم كما ورد ذلك بسند معتبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إذا سمعتم من ينشد الشعر في المسجد فقولوا له: كسر الله فمك انّما بُني المسجد لتلاوة القرآن. وورد النهي أيضاً عن رفع الأصوات في المساجد، واكثرهم يأتي بهذه الأعمال ليلاً وأيام الجمعة بأصوات مرتفعة في المسجد، وقراءة الشعر في الليل مكروه مطلقاً ومكروه في يوم الجمعة أيضاً كما نقل في الحديث الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قوله (بالمعنى):

من قرأ بيتاً من الشعر في يوم الجمعة فسيكون نصيبه من ثواب ذلك اليوم هو ذلك البيت من الشعر.

وعندما يُقال لهم هذه الأعمال بدعة وتشريع، يقولون في الجواب أنّه يحصل لنا قرب آخر من هذه الأعمال، يصرخون ويزبدون كالحيوانات، وهذه في نظر العوام الذين هم كالأنعام يعدّونها من كمالاتهم ومن باب القرب الأكثر، وقد عُلم أنّ هذه الأمور مجرد وهم وطريق القرب منحصر في اتّباع الشرع.

وتلك الحركات الصادرة منهم والتي يطلقون عليها اسم «الحال» على عدّة أقسام:

---

(١) إشارة إلى مطلب معنون بهذا العنوان «اللمعة التاسعة في حرمة الغناء» مطبوعة في نسخة عين الحياة ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) إشارة إلى الآية ٣٥ من سورة الأنفال.

قيم منها خيالات باطلة في نفسه، وهي من العشق مجاز لا حقيقة، فتلك الأصوات الحسنة التي يسمعها وذلك المعنى يبعث فيه النشوة والاضطراب. وذلك لا خصوصية له فقد تحصل حالة من الوجد والرقص في مجلس الشراب والطبلة والمزمار.

محاورة يحيى عليه السلام مع الشيطان:

نقل بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه روى عن آبائه الطاهرين (صلوات الله عليهم):

إنّ الشيطان جاء إلى الأنبياء عليهم السلام من زمن آدم عليه السلام إلى حين بعثة يحيىٰ عليه السلام وتحدّث معهم وكانوا يسألونه، وكان له أُنس خاص مع يحيى عليه السلام أكثر من أُنسه مع الأنبياء الآخرين. قال له يحيى عليه السلام يوماً: يا أبا مرّة لي إليك حاجة. فقال: إنّ قدرك أعظم من أن أقدر على ردّها، سل ما شئت فانّي لا أخالف لك أمراً. فقال يحيى عليه السلام: أُريد أن أرى شباكك وفخاخك التي تصطاد بها بني آدم. فقبل الملعون ذلك وأوعده على يوم آخر. وحينما كان صباح اليوم الثاني كان يحيىٰ عليه السلام جالساً في داره منتظراً له رأى مقابله فجأة صورة ظهرت وجهه كالقرد وبدنه كالخنزير وطول عينيه بطول وجهه وفمه بعرض وجهه وليس له ذقن ولا لحية وله أربعة أيدي وأصابع قدميه إلى الخلف وقد ارتدى قباءً وشدَّ على وسطه حزاماً فيه حبال بألوان مختلفة، بعضها أحمر وبعضها أصفر وبعضها أخضر، ولكل لون حبل في وسطه، وفي يده جرس كبير، وقد وضع على رأسه خوذة وقد علّق عليها كلّاباً. وعندما رآه يحيى عليه السلام على هذه الهيئة سأله: ما هذا الحزام الذي في وسطك. فقال: هذه الزرادشتية والمجوسية التي عثرت عليها وزيّنتها للناس. فقاله له يحيى عليه السلام: وما هذه الحبال الملوّنة؟

قال هذه أصناف النساء وبألوانها المختلفة هذه أخطف الناس. فقال له يحيى عليه السلام: فما هذا الجرس الذي في يدك؟ قال: هنالك مجموعة كل لذّتها هنا، في الطنبور والعود والطبل والمزمار وغيرها، فعندما يشرب بعضهم ولا يحسّ بلذّة الشراب فأقوم بتحريك هذا الجرس فيشتغلون بالقراءة والتصفير وعندما يسمعون ذلك الصوت يتحرّكون طرباً وشوقاً فيرقص بعضهم ويضرب بأصابعهم آخرون. فقال له يحيى عليه السلام: ما هو الشيء الذي يسرّك أكثر ويقرّ عينك؟

فقال: النساء التي هي شباكي وفخاخي فعندما يتجمّع عليَّ اشمئزاز ولعنات الصالحين أذهب عندهن فيسرّ قلبي. فقال له عليه السلام: فما هذا الشيء الذي على رأسك؟ قال: بهذا أحفظ نفسي من اشمئزاز الصالحين. فقال له عليه السلام: فما هذا الكلّاب الذي علّقته عليه؟ قال: بهذا أُغيّر قلوب الصالحين وأجرّها نحوي. فقال له عليه السلام: هل ظفرت بي ساعةً؟ قال: لا ولكن فيك خصلة تسرّني. فقال عليه السلام: وما هي؟ قال: تأكل حين الإفطار كثيراً فتثقل عن العبادة وتأتي بها متأخراً. فقال يحيى عليه السلام: أعاهد الله تعالى أن لا أشبع من طعام أبداً حتى أُلاقي الله. فقال الشيطان: وأنا أعاهد الله أن لا أنصح مسلماً بعدها حتى ألاقي الله.

فخرج ولم يرجع إليها ثانية.

وهناك قسم آخر هم من أهل المكر والحيلة كما رأينا كثيراً منهم إذا كان في تلك الحالة على جانب قفز في أثناء الاضطراب والهيجان إلى الطرف الآخر وآثار الاختيار في أفعاله ظاهرة.

وقسم آخر مرضىٰ بسبب ترك ما هو حيواني وحبس النفس في الذكر الخفي وسائر البدع الموجبة لضعف القلب والدماغ وتولّد السوداوية،

فبمجرّد سماعه صوت ضعيف في السكوت أو صوت موحش أو حزين تحصل له حالة الدهشة وتصدر منه حركات مضطربة، وذلك باعتبار المرض الحاصل في بدنه، ويُعالج بالنقاهة وترك البدع وتناول الأدوية المقوية، وتوجد نفس هذه الحالة المرضية في بعض النساء لضعف مزاجهن، ولكن الفرق بينهما أنّ هذه النساء لا يعلمن نهائياً بهذه الحالة ويباشرن العلاج وهؤلاء يعلمون تماماً بالحالة التي هم فيها ويعملون على ازديادها.

وهنالك قسم آخر مبدأه باختياره وآخره بغير اختياره وعلّة ذلك أنّ البكاء يحصل عند الإنسان عندما يزداد حزنه أو فرحه فيدفعه به، وللعباد في مقام المناجاة مع قاضي الحاجات هذه الطريقة، وربما كان من هو في حال الشوق والهيجان مشغول بالمناجاة من أول الليل حتى الصباح ولا تحصل له مثل هذه الحالات التي تحصل لهم لأنّه سار في طريق العبودية بشكل صحيح فلم يجد الشيطان عليه سبيلاً، وقد نُقلت هذه الطريقة عن أهل البيت عليهم السلام. وأمّا هذه الجماعة فانّهم يقولون أنّ البكاء هو عمل العجائز وليس كمالاً ويمنعون من البكاء، ويطلقون لأنفسهم العنان في الشوق والخيالات حتى تحصل لهم حالة الإغماء وتصدر منهم حركات آخر علاجها بالبكاء، ولكنهم لو تركوا لأنفسهم العنان في البكاء من بداية الأمر لما انتهىٰ بهم إلى هذه الحالة. وكذلك قد نقل الكليني وابن بابويه رواية بسند معتبر عن جابر أنّه قال ما معناه:

«قلت للإمام الباقر عليه السلام أنّ هناك مجموعة من الناس إذا قرأوا القرآن أو قُرأ لهم يُغمىٰ عليهم بحيث لو قُطعت أرجلهم وأيديهم لا يحسّون بذلك. فقال عليه السلام: سبحان الله هذا من الشيطان والله سبحانه لم يأمر بذلك، والشيء المأمور به والذي يتأتّىٰ منه هو اللطف والرقّة والبكاء والخوف».

فيا عزيزي هل هناك شاهد أفضل على كون هذه الأمور بدعة من أنه

هل نقل لنا شخص شيعي أو سنّي، صوفي أو غير صوفي، عن حامي الرسالة ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام والأصحاب الكرام ورواة أخبارهم وعلماء ملّتهم بأنّه كان لهم مطرباً كان يتغنّى لهم؟ أو عقدوا حلقة للذكر؟ أو أمروا أصحابهم بذلك؟ وإذا كانت هذه العبادة مهمة إلى هذه الدرجة في حقهم فلماذا لم يتحدّثوا بها لأصحابهم؟ نعم بدع لذيذة وعبادات غالية على النفس. ألا ترى لو أن خمسين فاضلاً عادلاً قالوا أنّه قد تواتر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من صلّى في ليلة الجمعة صلاة جعفر الطيّار غُفرت ذنوبه، ولها فضائل عظيمة» لعشرة آلاف شخص لم تجد واحداً منهم يرغب في ذلك. ولكن إذا مرّوا بمكانٍ قد اجتمع فيه عدّة أجلافٍ يصرخون:

يا ربّي يا ربّي فانّهم يجتمعون في حلقتهم برغبة كاملة يتقافزون معهم حتى الصباح! ألم تفكر مع نفسك بأنّك متى كنت راغباً في الخيرات؟ لماذا لا يكون لك هذا الاهتمام في أمر خيرٍ آخر؟

أمن الإنصاف أن يرد عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام قريب من ألف حديث في أدعية وأعمال ليلة الجمعة ويوم الجمعة، كما أن السيّد ابن طاووس (عليه الرحمة) قد صنّف في خصوص هذا المطلب كتاباً في تلك الأدعية والأعمال قد علّمك عدّة آلاف من طرق القرب والعبودية ولكنّك لم تنظر إلى واحدٍ منها وتقضي تمام تلك الليلة واليوم في شيء قال عنه علماء عصرك أنّه حرام وتعترف أنت بنفسك بأنّ الله سبحانه لم يأمر به، فما هو عذرك يوم القيامة؟ وبأي دليل تتأمّل فيه الثواب؟ وفي أثناء قراءتك لتعقيبات الصلاة، ولأنّ أصل التعقيب سنّة فإنّك تضمّ إليه عدّة بدع ولعلّك تأتي بها كسنّة خالصة، ونعوذ بالله أن تستحقّ عليها ثواباً، لأنّه وببركة أهل البيت عليهم السلام قد نُقل إلينا قريب من مائة ألف بيت من المناجاة والدعاء والتعقيب والأذكار والأوراد فنتركها جميعاً وتقرأ عدّة أوراد جمعها أهل

الضلال والتي لا منزلة لها بحسب المعنى وأكثرها خطأ بحسب العربية والإعراب. وتعتبر عدّة جهلاء من أهل الضلال من أئمّة الدين ومُنتجبي ربّ العالمين وأفصح الفصحاء على الأرض؟ لقد كان الأنبياء يأملون أن تكون من أتباعهم وداخل في شيعتهم وترى من العار أن تتبعهم، وتقرأ تلك الأوراد بنغمة ولحن بحيث يمكن أن يُعدّ غناءً ولا يخلو من الذنب. ونُقل أنّ شخصاً جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: لقد اخترعت دعاءً. فقال له الإمام عليه السلام: دعني من اختراعك وادعُ كما أقول لك.

الثاني: الذكر الخفي: والذكر الخفي بتلك المعاني التي ذُكرت سابقاً جيد ومن أفضل العبادات تربط قلب الإنسان بذكر الله تعالى بالتفصيل الذي مرّ. أمّا ذلك النحو الخاص الذي اخترعوه وبالهيئات المخصوصة لم يرد بسند معتبر عن الشارع، واتيانه بعنوان العبادة بدعة، كما عُلم من تعريف البدعة، ولم يرد في أي حديث من أحاديث الشيعة تلك الهيئات ولم أرَه أيضاً في كتب السنّة. وهم ينقلون أن معروف الكرخي روى ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام، وهو باطل من وجوه:

١ ـ لم يُعلم أنّ معروف الكرخي قد التقى بالإمام الرضا عليه السلام، وما قيل من أنّه كان بوّاباً للإمام عليه السلام فهو غلط قطعاً، لأنّ كل خدّام الإمام عليه السلام وخواصّه من السنة والشيعة قد ضُبطوا في كُتب الرجال، وقد نقلوا أسماء المتعصبين الذين كانوا يتردّدون على الإمام عليه السلام، وإذا كان هذا الرجل بوّاباً للإمام لنُقل أيضاً.

٢ ـ ما نقله داود الطائي عن شيخ طريقتهم وقد عُلم من أحواله بأنّه كان من المتعصبين ولم يكن له توسّلٌ بأهل بيت عليهم السلام أبداً.

٣ ـ إنّ السند الذي يعتقدون أنّه ينتهي إليه فيه جماعة ليس من المناسب هنا ذكر قبائح اعتقاداتهم وأعمالهم، مثل سيّد محمد نوربخش

والذي عُلم من كتب الصوفية أنّه ادّعى أنّه المهدي صاحب الزمان وقال: إنّ اتفاق أهل القلوب كان على ذلك، وغيره من المعروفين بالتعصّب والبدع.

٤ ـ ما سمعته من مشايخهم بأنّ للذكر الخفي أنواع مختلفة وكل طائفة تتّبع نحواً معيّناً أخذته عن شيوخها، فإذا كان منقولاً فانّ أحد هذه الأنواع سيكون منقولاً فقط.

٥ ـ إذا كانت هذه العبادة من أفضل العبادات ـ وقيل بل أفضل بعد الصلاة ـ التي يحصل بها القُرب فلماذا ضنَّ بها الأئمة عليهم السلام وقالوها لمعروف الكرخي ولم يخبروا بها أحداً من الأصحاب؟ فإن قلتم: إنّ الآخرين لم يكونوا مستعدّين لذلك وأنّه إذا كان هناك واحد بين مائة ألف من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام يتقبّل ذلك فهو معروف الكرخي ولم يكن يقبل ذلك حواريو الإمام وأصحابه فإذن لماذا تعلّمون هذه الطريقة لكل ضعيف؟!.

٦ ـ وإذا كان سرّ كهذا يقبله معروف ولا يتحمّله سلمان وأبو ذر، فانّه سيكون إذن أفضل منهما، وإذا كان قد ورد في حق سلمان خمسمائة حديث بل ألف حديث فلماذا لم يرد حديثان في شأن معروف؟ أو لماذا لم يعدّه أحدٌ أنّه كان من خواص الإمام عليه السلام؟.

٧ ـ وعلى تقدير وروده فانّه ليس أكثر من حديث مجهول، وليس من شرط التدين أن نترك عملاً متواتراً عن الأئمّة عليهم السلام ونرتكب عملاً قد رواه عدّة مجاهيل؟! ونكتفي بهذا في هذا الباب فتطويل الحديث يوجب الملل، وأنّ مَن صفّىٰ نفسه عن الأغراض الشخصيّة والوساوس الشيطانية وعن حبّ الجاه في هذه الدنيا الفانية ونظر بعين الإنصاف إلى هذه اللمعات العشرة المذكورة على وجه الاختصار كانت كافية لهدايته. وأمّا إذا كان في البين أساس التعصب والعناد واللجاجة فانّ الأكثر من هذا لا ينفعه، وليس أظهر

في مذهب التشيع وضوحاً من هذا المطلب، واكثر المسلمين أكفّاء عن رؤية الحقيقة بسبب العناد والتعصب فيذهبون عن طريق التعصب إلى جهنم، وهناك عدة من المسلمين من أرباب المذاهب الباطلة يدخلون جهنم بسبب كفرهم وعنادهم.

وإذا خدعك الشيطان بأنّ أكثر الناس سائرون في هذا الطريق، فهذا دليل البطلان لا الحقيقة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تستوحش من طريق الهداية لقلّة سالكيه لأنّ أهل الباطل كثير وأهل الحقّ قليل. وقد مدح الله تبارك وتعالى القلّة في القرآن الكريم وذمّ الكثرة. والحقّ تعالى شاهدٌ، وكفى بالله شهيداً، بأنّه ليس لي أدنى عداوة دنيوية مع سالكي هذا الطريق، وليس لي مشاركة معهم من طريق الاعتبارات الفانية، وليس لي غرض في كتابة وتوضيح هذه الأمور غير رضا الباري عزّ وجلّ. وأرجو من الكريم ذو الفضل الدائم أن يهتدي بهذه المواعظ الوافية والنصائح الشافية كثير من سالكي مسالك الجهالة، واسأله الفوز لي ولجميع المؤمنين بالدرجات الرفيعة من السعادات والكمالات، إنّه على كل شيء قدير».

والشيخ الكبير الجليل محمد بن الحسن الحر العاملي (رضوان الله عليه) في كتاب «الاثنا عشرية» الذي كتبه ردّاً على الصوفية[1]، عقد الباب الحادي عشر للردّ على الذكر الخفيّ والجليّ، ونص عبارة الكتاب كالآتي[2]:

«الباب الحادي عشر في إبطال الأمر الذي ادّعوا أنّه من الذكر الخفي والجلي، إضافة إلى ما اخترعوه: فاعلم أنّ لكل أمر من أُمور الدنيا والدين

---

(١) توجد ثلاث نسخ من هذا الكتاب عندي.

(٢) وهذا هو نفس الكتاب الذي أشار إليه الشيخ الحر رحمه الله في ضمن تعداد مؤلفاته في أمل الآمل ص٢٥ في آخر رجال أبو علي.

ثلاث مراتب: الإفراط والتفريط والعدل، بمعنى الزيادة والنقصان والتوسّط، ولا شكّ في أنّ الأوّلين (أي الأفراط والتفريط) مذمومان وقبيحان عقلاً وشرعاً، وكلاهما حرام في الأمور الدينيّة والأحكام الشرعيّة، لمخالفتهما للشرع. وكذلك في الأُمور الدنيوية، من جهة وجود أحكام شرعيّة للدنيا، إذن فكيفما حصلت مخالفة الشرع ثبت التحريم، والطرف الثالث أي التوسط والعدل ـ ممدوح شرعاً، ومحمود عقلاً، بل هو واجب، وقد قالوا على وجه التحقيق: «الجاهل مفرط أو مفرّط» وقالوا «خير الأمور أوسطها» والشواهد على ذلك كثيرة. فإذا عرفت ذلك فاعلم بأن الصوفيّة قد خرجوا عن هذين الحدّين فتارة يرفعون أصواتهم بالذكر يتجاوز حدود العلو إلى المبالغة كثيراً مع وصوله إلى حدّ الغناء، وأُخرى يخفون الذكر في أنفسهم بنحوٍ لم يرد في الشرع، بل هو مخترع ومبتدع، فهم يتصورون أنّه مجرّد خروج حروف «لا إله إلاّ الله» من جوانب القلب والباطن على الوجه المعروف عندهم والمفصّل بينهم، إذن فهم يخرجون بعض الحروف قوّة، لا فعلاً ولا نطقاً، من الجوانب اليُمنىٰ وبعضها من اليُسرىٰ وبعضها من فوق وبعضها من تحت، إلى غير ذلك التي تنطق بذلك اللسان، بل يحركون رؤوسهم وأبدانهم حركةً عنيفة، ويُتعبون أنفسهم في ذلك، وكل من عرف أحوالهم واطّلع عليها يعلم أنّ أمرهم مقصور على ذينك الحالين وهمّهم هو الظاهر دون الباطن. ولا شكّ أنّ قصد الشيطان صرفهم عن العبادات الشرعية في كلا الحالين.

فإذن أقصىٰ همّهم هو في المبالغة بإخراج الحروف وتحسين الصوت ونحو ذلك مع أنّ شيء من تلك الاشياء التي يصنعونها غير موافق للشرع، وهذا كافٍ في فساد طريقتهم، لكنّنا نذكر هنا إثنا عشر وجهاً في بطلانها».

ثمّ ذكر إثنا عشر دليلاً في إبطال إدعاءاتهم، ومن طلب هذا الكتاب فانّ

نسخته الخطيّة غير عزيزة، فليراجع.

يقول الكاتب: الراغب للأبحاث المفصّلة في هذا الباب يراجع مظانّ ذلك من قبيل حديقة الشيعة للمحقّق الأردبيلي رحمه الله وكتب العالم الجليل آغا محمد علي الكرمانشاهي رحمه الله صاحب مقامع الفضل. وبخاطري أنّ في جامع الشتات للميرزا القمي رحمه الله أيضاً مطالب مفيدة في هذا الباب، وأظن أنّ في طرائق الحقائق بحث مفصّل في هذا الباب، لأنّ صاحب هذا الكتاب صوفي ولا بدّ للمؤيدين لهذين النوعين من الذكر من إثبات مشروعيتهما عن طريق نقل أقوال العلماء الذين ردّوا على هذين النحوين من الذكر ثم إثبات مشروعيتهما بحسب ما تخيّلوه، فمن شاء فليراجع.

فالقرينة والامارة التي أرشدتنا إلى الظن الذي ذكرناه في صدر شرح عبارة المصنّف الأخيرة هو أنّه أتضح من البيانات السابقة أنّ الذكر الخفي والجلي من الأعمال الشائعة في أوساط الصوفيّة وكان من مختصاتهم ويظنون أن كلاهما عبادة ويأتون بهما بنيّة التقرّب إلى الله تعالى، خصوصاً في زمن المصنّف رحمه الله. فإذن سياق هذا الكلام «أمّا الإلتزام بالأربعين يوماً وعدم أكل ما هو حيواني وغير ذلك ممّا هو منقول عن الصوفية» يدلّ صدراً وذيلاً على أنّ المصنف رحمه الله يجب أن يشير إلى هذين النحوين من الذكر كما أشار إلى الإلتزام بالأربعين يوماً وعدم أكل ما هو حيواني، وهو على خلاف ذكر الأذكار الأربعة، لأنّه بالإضافة إلى أنّ الأذكار الأربعة ليست من مختصّات الصوفيّة ولم يعتبرها أحد إلى الآن من مختصاتهم، غير منافية أصلاً مع مذهب وعقيدة جمهور أكابر الصوفية، والتدبر في مضمون ذلك الذكر والإلتفات إلى معناه يُغنينا عن إقامة البرهان على إثباته.

وبما أنّه لا أرى من المناسب أن أوضح المطلب في هذا المورد أكثر من ذلك لذا اكتفي بهذا المقدار، وإذا لم تكن هذه المسألة مُلتفت إليها

لأوضحت المطلب بشكل لا يخفى على أي أحد بأن الأذكار الأربعة ليست من مختصّات جميع الصوفية. نعم من الممكن أن يقول بعض الصوفية به بحسب عقيدتهم الإمامية ومذهبهم الإثنا عشري.

ولا يخفى أنّ قراءة هذا الذكر أيضاً بقصد الوصول ونيّة العبادة في الشرع بتلك الكيفية المخصوصة والمعهودة عنهم هو تشريع وبدعة أيضاً وستكون أمراً مخترعاً في الدين والذي هو حرام بالاتفاق وغير جائز ولا مشروع، والسلام على من اتّبع الهوى.

وظاهراً أنّ بعض المشايخ أمثال هؤلاء بسبب ما يرونه مناسب لنفوس بعضهم من جهة سهولة السلوك كانوا يأمرون به. ومن المحتمل أن يكون مستند الإلتزام بالأربعين يوماً هو حديث:

مَن أخلصَ لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

وبنظري أنّ ما قاله المصنّف رحمه الله من أنّ مستند الصوفية في الإلتزام بالأربعين يوماً هو هذا الحديث. وقد صرّح أيضاً العلاّمة المجلسي رحمه الله بأنّ مستندهم في ذلك هو هذا الحديث فقط. وعلى كل حال نذكر هنا بعض الأمور النافعة الممتعة.

ينبغي أن يُعلم بأنّ الإلتزام بالأربعين يوماً بالطريقة المألوفة بين العُرفاء له منزلة عظيمة جدّاً عنده، وبما أنّ الخوض في نقل الشواهد على ذلك لا فائدة فيه لذا نعرض عن ذكره.

نقل العلاّمة المجلسي رحمه الله في «بحار الأنوار» عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«ما أخلص عبدٌ الإيمان بالله أربعين يوماً (أو قال) ما أجمل عبدٌ ذكر الله

أربعين يوماً إلاّ زهّده الله في الدنيا وبصَّرَه داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، ثم تلا:

﴿إنَّ الَّذينَ اتَّخذوا العِجلَ سَيَنالُهم غَضبٌ مِن رَبِّهم وَذِلَّةٌ فِي الحياة الدُّنيا وكَذلِكَ نَجزِي المُفتَرين﴾ فلا ترى صاحب بدعة إلاّ ذليلاً أو مفترياً على الله عزَّ وجلّ وعلى رسوله ﷺ وأهل بيته إلاّ ذليلاً»[1].

بيان: إخلاص الإيمان، إخلاصه ممّا يشوبه من الشرك والرياء والمعاصي وأن تكون جميع أعماله خالصة لله تعالى، ولعلَّ خصوص الأربعين لأنّ الله تعالى جعل انتقال الإنسان في أصل الخلقة من حالٍ إلى حال في أربعين يوماً كالانتقال من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظام ومنها إلى اكتساء اللحم، ولذا يوقف قبول توبة شارب الخمر إلى أربعين يوماً كما ورد في الخبر.

الزهد في الشيء: تركه وعدم الرغبة فيه.

داء الدنيا: المعاصي والصفات الذميمة وما يوجب البعد عن الله تعالى.

دواءها: ما يوجب تركها واجتنابها من الرياضات والمجاهدات والتفكّرات الصحيحة وأمثالها.

أو المراد بدائها: الأمراض القلبية الحاصلة من محبّة الدنيا، ودواءها ملازمة ما يوجب تركها، وقيل: أي قدر الضرورة منها والزائد عليه أو ميل القلب إليها وصرفه عنها أو الضارّ والنافع في الآخرة أعني الطاعة والمعصية.

والحكمة: العلوم الحقَّة الواقعيّة وأصلها ومنبعها معرفة الإمام، ولذا

---

(1) بحار الأنوار ج١٥، ص٨٥.

فُسّرت بها كما مرّ.

ويمكن ذكر عدّة وجوه للسبب الذي دعا الإمام الباقر عليه السلام إلى ذكر الآية السابقة في هذا الحديث:

الأول: ما خطر بالبال وهو أنّه لمّا ذُكر فوائد إخلاص الأربعين وقد أبدع جماعة من الصوفية فيها ما ليس في الدين، دفع عليه السلام توهّم شموله لذلك بالاستشهاد بالآية وانّها تدلّ على أنّ كل مبتدع في الأحكام ومفترٍ على الله ورسوله في حكم من الأحكام ذليل في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾.

وقوله عليه السلام «مفترياً» أي لا ترى مُفترياً، وبعبارة أُخرى لمّا كان صحّة العبادة وكمالها مشترطة بأمرين: الأول كونها على وفق السنّة، والثاني كونها خالصة لوجه الله تعالى، فأشار أولاً إلى الثاني وثانياً إلى الأول، فتأمّل.

الثاني: ما قيل أنّ الوجه في تلاوته عليه السلام الآية التنبيه على أنّ من كانت عبادته لله عزّ وجلّ واجتهاده فيها على وفق السُنَّة بصَّره الله عيوب الدنيا، فزهّده فيها فصار بسبب زهده فيها عزيزاً لأنّ المذلّة في الدنيا إنّما تكون بسبب الرغبة فيها، ومن كانت عبادته على وفق الهوى أعمىٰ الله قلبه عن عيوب الدنيا فصار بسبب رغبته فيها ذليلاً، فأصحاب البدع لا يزالون أذلاّء صغاراً ومن هنا قال الله في متَّخذي العجل ما قال.

الثالث: ما قيل أيضاً: إنّ الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أنّ غير المخلص مندرج فيها والوعيد متوجّه إليه أيضاً، لأنّك قد عرفت أنّ قلبه ساقط لكونه ذا شرك أو شك وهما بدعة وافتراء على الله ورسوله، والآية على تقدير نزولها في قوم مخصوص لا يقتضي تخصيص الوعيد بهم.

الرابع: ما خطر بالبال أيضاً وهو أنّ الإخلاص المذكور في صدور

الخبر يشمل الإخلاص عن الرياء والبدعة وكل ما ينافي قبول العمل، فاستشهد لأحد أجزائه بالآية».

ونقل في «البحار» أيضاً عن كتاب «عدّة الداعي»، عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«من أخلص لله أربعين يوماً فَجَّر اللهُ ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1].

وقال في الكتاب الشريف «عين الحياة» في أوائل الثلث الثاني تحت عنوان: اللمعة الثامنة في مدح المطعومات اللذيذة وذم ترك لحم الحيوان:

إعلم أنّه قد ورد في مدح الحلويات وأنواع الفواكه وأصناف اللحوم وسائر المأكولات والمشروبات والنِعم أحاديث كثيرة. ولكن قلّة الأكل ممدوح جدّاً وجاءت أخبار كثيرة في ذمّ كثرة الأكل التي تجعل الإنسان ثقيلاً وتعيقه عن العبادة، ووردت أخبار كثيرة أيضاً في مدح تناول الطعام مع الجوع. ومن القبح الحرص عليها والتعلّق بطلبها وصرف العمر الشريف في تحصيلها، ولكن التقيّد بتركها غير حسن أيضاً، لأنّ البدن آلة للنفس ومطيعة لها في جميع الأعمال وفي تحصيل كل كمال، وعندما يضعف البدن تتعطل النفس، بل يجب عدم تحميل البدن أكثر من طاقته على العبادة فيصير ضعيفاً جدّاً، مثل شخص مسافر وعنده فرس، فإذا قطع في كل يوم خمسة فراسخ وتوقّف في بعض المنازل من أجل قوت الفرس والأشياء المقويّة الأُخرى فانّه سيصل إلى مقصده، وأمّا إذا قطع في اليوم ثلاثين فرسخاً أو أربعين فرسخاً فانّه في نفس ذلك اليوم سيتعوّق عمله ولن يصل إلى مقصده، كما نُقل بسند مُعتبر عن الإمام الباقر عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال:

(١) بحار الأنوار ج١٥، ص٨٧.

«إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تجعل حمل العبادة على الناس ثقيلاً وتجعل عبادة الله تنفر منها طبائع عباد الله، فلا تكن كراكب الدابة الذي يُسرع في سيرها فلا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع».

وقال الإمام الصادق عليه السلام ما معناه: لا تُنفّر النفس عن عبادة الله.

وقال في حديث آخر ما معناه: مرَّ عليَّ أبي في أوائل عمري وأنا في الطواف وقد حَمَّلت نفسي الكثير من الجهد والمشقّة في العبادة وكان العرق يتصبب منّي، فقال: يا بني إنّ الله يحبّ عبده ويدخله الجنّة ويقبل منه اليسير[1].

«وفي هذا الباب أحاديث كثيرة»[2].

ويجب أيضاً أن لا يجعل القلب نحيفاً وضعيفاً بترك الحيواني وأمثاله، لأنّ المدار على تمييز العقل، وإذا ضعف العقل انخدع بحيل أهل الباطل، وكما وردت الأحاديث في المنع عن ترك اللحوم كذلك جاءت الأشعار بذلك. والظاهر أنّ الشيطان قد اخترع عبادة ترك تناول ما هو حيواني - والتي هي مخالفة لطريقة الشرع - لبعض مبتدعي الصوفية، فحينما يبقى جالساً في زاوية أربعين يوماً يضعف عقله وقواه فتستولي عليه الأوهام والخيالات، ومن طريق الوهم تصل إلى خياله أشياء نظير المصاب بمرض الهذيان. وباعتبار ضعف عقولهم يظنون أنّه كمال بحسب ما يقوله لهم الشيخ، وعندما يبقى في ذلك الثقب المظلم بشكل متواصل فانّ هذا المعنى في نظره حيث تزداد بالتدريج قوّته الواهمة ويضعف عقله، وعندما يخرج تكون حاله بنحوٍ لو قال له الشيخ لقد ذهبت البارحة خمس مرّات إلى العرش فانّه يصدّق ذلك

(١) راجع مرآة العقول ج٢، ص١٠٥ - ١٠٦، الكافي باب الاقتصاد في العبادة.
(٢) طالب جميع أخبار هذا المطلب يراجع الوسائل والمستدرك.

بلا بيّنة وبرهان، وهذا كلّه من ضعف العقل».

«واعلم أنّه قد نقل حديث عن رسول الله ﷺ أنّه من أخلص العمل لله أربعين صباحاً فانّ الله يجري الحكمة من قلبه على لسانه. وورد في حديث آخر عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: من أخلص الإيمان لله أربعين يوماً (أو قال: ما أجمل عبدٌ ذكر الله أربعين يوماً) إلاّ زهّده الله في الدنيا وبصّره داءها ودواءها. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**إنّ الذين اتّخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربّهم وذلّة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين**﴾ ثم قال: فلا ترى صاحب بدعة إلاّ ذليلاً أو مفترياً على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله ﷺ وأهل بيته إلاّ ذليلاً».

«واعتبر أصحاب البدعة أنّ هذين الحديثين حجّة لهما على أهل الحق ولم يعلموا أنّه ليس لهما أدنى دخل في مطلبهم، لأنّه وكما علمت من أول الكتاب أنّ إخلاص العمل هو تطهير العمل من شوائب الرياء ويسعى لأن يكون كل ما يصدر عنه من الأعمال والأفعال والأقوال موافقة لرضا الله تعالى، وأن لا تكون نيّة تلك الأعمال مشوبة بالأغراض الفاسدة، بل تكون أعماله المباحة أيضاً بنيّة العبادة، فعندما يذهب إلى بيت الخلاء يخلص النيّة مع نفسه أنّه يذهب ليكون نظيفاً وطاهراً في وقت العبادة ليمارس عبادته مع حضور القلب، فيكون عمله ذاك بهذه النيّة إذا كانت نيّته صادقة. وإذا ذهب إلى السوق فانّه يذهب لأنّ الله تعالى أمره بالذهاب إلى السوق وطلب الرزق. واخلاص العمل لله يكون عندما يأتي بالعمل لأنّ الله قد أمر به، ولكن إذا ابتدع شخص عملاً لأجل الله فانّ الله سيكون كارهاً لهذا العمل. فإذن يجب العلم أولاً بأنّه أي عمل يريده الله ليؤتى به امتثالاً لأمره، وقد أوضحنا هذا المعنى في الفصول السابقة. إذن لفظ الأربعين يوماً ماذا ينفع صاحب البدعة؟ فالظاهر أنّ من تدرّب أربعين يوماً على المصارعة لا يكون داخلاً

تحت هذا الحديث، والإمام محمّد الباقر عليه السلام في آخر الحديث الثاني الذي ذمَّ فيه البدعة فيه إشعار بهذا المعنىٰ».

«وبعدما بيّناه لك من معنى الإخلاص اعلم كم هو صعب البقاء على تلك الحالة أربعين يوماً، وواضح أنّ من يفوز بتلك السعادة هو مَن كان عمله وفقاً لعلمه خالصاً لله تعالى وأن لا يكون للبدعة في أعماله سبيل ثمّ تجري ينابيع الحكمة على لسانه.

وأمّا إذا كان عمله على طبق البدعة فانّ ينابيع الضلالة تجري على لسانه من ناحية الشيطان الذي يضلّ العالَم. وإلاّ فانّ بين أهل الحقّ كان هناك عبّاد وزهّاد دائماً ومع ذلك لم يُعدّوا ضمن الصوفية، لأنّهم كانوا على طريق الحقّ المستقيم وعندهم طريق القرب والعبادات والمناجاة والعبودية لله مثل سلطان العلماء والمحقّقين وبرهان الأصفياء الكاملين الشيخ صفي الدين وسيّد الأفاضل ابن طاووس وزبدة المتعبدين ابن فهد الحليّ والشهيد السعيد الشيخ زين الدين (رضوان الله عليهم أجمعين) وغيرهم من الزهّاد الذين كانت رياضتهم وعبادتهم وعبوديتهم وفق قانون الشريعة النبوية المقدسة، وبعد وصولهم إلى مرتبة الكمال في العلوم الدينية توجّهوا للعبادة والرياضة وهداية الخلق وتدريس العلوم الحقّة، وبما أنّه لم يُنقل عنهم أي بدعة لذا لم يعدّ ملا جامي في «النفحات» أي واحدٍ منهم ولم يعتبرهم من الصوفيّة، مع أنّهم كانوا أشهر من الشمس، وأضاءوا العالم بنور آثارهم وتصانيفهم، وستبقى بركاتهم إلى يوم القيامة في عالم الظاهر والباطن مشهودة، وقد سعوا في ترويج دين الأئمة الإثني عشر (صلوات الله عليهم)، وبذلوا أنفسهم في طريق الدين، بينما سعت أولئك الجماعة من الصوفية على خلافهم في تهديم الدين، وقد سمعت كيف كان لسفيان الثوري وعبّاد البصري وغيرهم من الصوفية معارضة للأئمة عليهم السلام، وبعد عصر الأئمة مع علماء الدين

الاثنى عشري كان لهم اعتراضات واحتجاجات، واليوم أيضاً يفعلون ذلك. وآمل من الله أن يهدي كل طالبٍ للحقّ إلى طريق الحق بمحمّد وآله الطاهرين».

وقال العلامة المجلسي رحمه الله أيضاً في آخر «رسالة الاعتقادات»:

«ثم اعلم أنّ أعظم سعادات النفس الأخلاق الحسنة الزكية من المصافاة والجود والسخاء والإخلاص والمسكنة والحلم وغير ذلك من الأخلاق الذميمة الردية من البخل والجبن والكبر والعجب والرياء والغضب والحقد وغيرها من الملكات الردية التي استقبحها الشرع والعقل فيجب على الإنسان السعي في التخلّي عن الأخلاق السيئة والتحلّي بالأطوار المرضيّة، وزعمت الصوفية أنهما إنّما يحصلان بترك المألوفات والاعتزال عن الخلق وارتكاب المشاق وملازمة الجوع المنهك والسهر الدائم وسائر ما هو طورهم ودأبهم.

وإني وجدت من يقاسي تلك الشدائد منهم تزيد أخلاقه الردية وتقلّ أخلاقه الحسنة إذ يغلب عليه السوداء فلا يمكن لأحد أن يتكلّم معهم لسوء خلقهم وتقوى تكبُّرهم وعُجبهم بحيث يظنّون أنّهم تجاوزوا عن درجة الأنبياء ويبغضون جميع الخلق ويستوحشون منهم وكذا سائر صفاتهم لكن لا يظهر للخلق ذلك لعدم معاشرتهم الخلق ومعاملتهم معهم.

وظنّي أنّ طريق معالجة ذلك هو أن يتوسّل أولاً إلى الله تعالى في رفع تلك الرذائل ثمّ يتفكّر في سوء عواقبها وعيوب نفسه ورداءة أصله وما ينتهي إليه حاله وفي نقص أعماله ونيّاته، ثمّ يعالج كل خصلة بتمرين النفس على ضدّها حتى يصير ضدّها له خُلقاً وعادة، وفي أثناء ذلك يتدبّر في الأخبار الواردة في ذمّها ـ وكتاب الإيمان والكفر من الكافي مشحون بها ـ مثلاً صاحب البخل يداوي نفسه بعد التوسّل إلى الله تعالى بأنّ يتفكّر في أنّ المال

لا ينفعه بعد الموت والإعطاء ينفعه، وانّ الله تعالى يخلفه ولا يخلف وعده، ثمّ يتدبّر في الآيات والأخبار الواردة في ذمّه ثم يزجر نفسه على العطاء، ففي المرتبة الأولى يشقّ عليه وفي الثانية يسهل، إلى أن يصير الإعطاء عادة له وخُلقاً لا يمكنه تركه. وكذا صاحب الترفّع في المجالس يُعالج نفسه بعدما ذكر بأن يجلس مراراً دون ما يليق به من المجلس إلى أن يصير له خُلقاً وكذا في سائر الأخلاق.

وأفضل ما يَقرأ في التوسّل دعاءان في الصحيفة لمكارم الأخلاق والاستعاذة من سوء الأخلاق.

وملازمة العبادات الشرعيّة بشرائطها كافية في رفع تلك المهلكات ولا يحتاج الإنسان إلى ارتكاب البدع والتشريعات فيكون دفعاً للفساد بالأفسد».

يقول الكاتب: مراده من الصحيفة هو «الصحيفة السجّادية» على مُنشئها آلاف التحية والصلاة، حيث ذُكر فيها كلا الدعاءين.

ومستند ترك الحيواني: «لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات» ونحوها. ولا شكّ أنّ قلّة أكل اللحوم والجلوس في الخلوة وفراغ البال والتوجّه التام أثناء الذكر له دخل تام في تنوير القلب، ولكن بشرط أن لا يكون مانعاً عن الجمعة والجماعة ومن جملة الأمور التي تُعتبر عمدة في السلوك: الحرية، أي التحرّر من شوائب الطبيعة ووساوس العادة ونواميس العامة، فانّ السالك لا يجد سدّاً أعظم من هذه الأمور الثلاثة. وقد أطلق عليها بعض الحكماء اسم رؤساء الشياطين، ولو تأملت جيداً في كل قبيح يصدر من أي كان لوجدته منتهياً إلى أحد هذه الثلاثة.

قال الشيخ البهائي (رحمه الله) في الكشكول:

«قال جالينوس: رؤساء الشياطين ثلاثة: شوائب الطبيعة، ووساوس

العادة، ونواميس العامّة»[1].

وينبغي العلم أنّ عبارة «أمّا شوائب الطبيعة» إلى آخر العبارة أي «ليكونا من الأسفلين» مأخوذ من كتاب «آغاز وأنجام» أي البداية والنهاية للخواجه نصير الدين الطوسي رحمه الله بعين العبارة، مع أن الكتاب المذكور قد طُبع مرّات عديدة وهو في متناول الأيدي ولكن من باب الاحتياط ـ لأنّ الحصول على نسخة منه يكون صعباً لقرّاء هذا الكتاب ـ أنقل هذه العبارة هنا ونص عبارة كتاب «آغاز وأنجام» في الفصل الأول (والذي هو في صفة طريق الآخرة وذكر سالكيه وسبب إعراض الناس عنه وآفات الإعراض) قال في ذكر سبب الإعراض:

«وأمّا سبب الإعراض فأمور ثلاثة كما قيل «رؤساء الشياطين ثلاثة».

الأول: شوائب الطبيعة كالشهوة والغضب وتوابعهما من حب الجاه والمال وغير ذلك.

﴿تِلكَ الدَارُ الآخِرةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لاَ يُريدونَ عُلوّاً فِي الأرضِ وَلا فَساداً والعاقِبةُ للمتَّقين﴾.

والثاني: وساوس العادات، مثل تسويلات النفس الأمّارة وتزيين الأعمال غير الصالحة بسبب الخيالات الفاسدة والأوهام الكاذبة ولوازم ذلك من الأخلاق الرذيلة والملكات الذميمة.

﴿قُل هَل نُنبِّئكُم بِالأخسَرينَ أعمالاً الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الْحَياةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحسَبُونَ أنَّهم يُحسِنُونَ صُنعاً﴾.

الثالث: نواميس العامّة، كاتّباع الغول الآلي الجسد وتقليد الجهلاء أشباه العلماء والاستجابة لإغواء شياطين الجن والإنس والانخداع بحيلهم

---

(١) كشكول الشيخ البهائي أواسط الجلد الأول ص٨١، واواخر المجلد الثالث ص٣٦٥.

وتلبيساتهم.

﴿رَبّنا أَرِنَا الّذين أَضَلاّنا مِنَ الجِنِّ وَالانسِ نَجْعَلْهُما تَحتَ أقدامِنا لِيَكُونا مِن الاسْفَلينَ﴾[1].

ونتيجة الإغراض هو المعيشة الضنكى والشقاوة الأبدية في ذلك العالم.

﴿وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكا وَنحشُرُه يَومَ القِيامَةِ أَعمى * قالَ لِمَ حَشَرْتَنِي أعمى وَقدْ كُنْتُ بَصيراً * قالَ كذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسيتَها وَكَذَلِكَ الْيَومَ تُنسىٰ﴾[2].

وأيّ شقاء أعظم من أن يكون الشخص منسيّاً عند الله تعالى، والعمىٰ في هذا الموضع هو عمىٰ القلب.

﴿فإنَّها لا تَعْمَىٰ الأبْصارُ ولكِنْ تَعمَىٰ القُلْوبُ الَّتي فِي الصُّدُور﴾[3].

وتلك مراتب: الختم، الطبع، الرَين ﴿خَتَم اللهُ عَلى قُلوبِهِم﴾، ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيها﴾، ﴿كَلاّ بَل رانَ عَلى قُلوبِهِم﴾».

وينبغي أن يُعلم أنّ العبارة المذكورة أي «رؤساء الشياطين ثلاثة: شوائب الطبيعة ووساوس العادة ونواميس العامّة»، كلام صحيح وحق وصدق، ويمكن القول بأنّها من جوامع الكلم في بابها، وقد اهتمَّ بها العلماء كثيراً، حتى أنّ إثنين من العلماء (بحسب ما رأيته) قد كتب حولها رسالة خاصّة.

الأول: ملاّ صدرا رحمه الله كتب رسالة باسم «سه فصل» أي ثلاثة فصول،

---

(١) سورة فصلت، الآية (٢٩).
(٢) سورة طه، الآيات (١٢٤ ـ ١٢٦).
(٣) سورة الحج، الآية (٤٦).

وجعل الأصول الثلاثة هذه الأصل الثاني والثالث من رسالته (لأنّه لفق الأمر الثاني والثالث معاً وجعلهما في ترتيب رسالته أمراً واحداً أي الأصل الثالث) واعتبر معرفة النفس الذي هو أصل أصيل وركن ركين في ضمنها، وجعلها أصلاً أولاً نظراً لأهميتها.

والثاني: الفيض رحمه الله مصنّف هذا الكتاب (زاد السالك)، فقد كتب رسالة باسم «ضياء القلب» حول هذه العبارة. ولأنّ رسالة ملاّ صدرا (سه أصل) غير مطبوعة، ونسختها الخطيّة قليلة جداً ننقل هنا قسمٌ من عبارته التي لها علاقة كبيرة وتماس قريب بالعبارة المذكورة. ولكن بما أنّ رسالة «ضياء القلب» مطبوعة فنقتصر هنا فقط على ذكر خطبتها ومقدمتها وسبب تأليفها لتكون بمثابة فهرس إجمالي لمطالب الكتاب ومن أراد مراجعتها يستطيع الحصول عليها. ثمّ نقول:

قال ملاّ صدرا رحمه الله في أوائل رسالته «سه أصل»:

«الأصول الثلاثة في الحقيقة عند أرباب البصيرة رؤساء الشياطين، والتي هي مهلكات النفس. فهي أصول ومبادىء الشرور الأخرى رؤوس ثعابين الشقاوة ورؤوس تنين عذاب القبر والقيامة، وقد بيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث عذاب المنافق في القبر، وقد تفرّعت منه الأصول الثلاثة، والحديث هو:

«تسلّط عليه تسعة وتسعون تنيناً، وهل تدرون ما التنين؟

تسعة وتسعون حيّة، لكلّ حيّة تسعة رؤوس ينهشونه وينفخون في جسمه إلى يوم يُبعثون».

فيا أيّها العنيد والمتكبّر أُقسم بالله أنّ لله عباداً الآن يرون رؤوس الأفاعي في جوفك واعلم بأنّهم يرونك معذّب في القبر وأنت غافلٌ عن ذلك

﴿لَقَد كُنتَ في غَفلَةٍ مِن هذا﴾.

ابقَ هكذا إلى الوقت الذي يرتفع هذا الحجاب الدنيوي الموهوم عن نظرك وحينئذٍ يصل ﴿فَكَشَفنا عَنكَ غِطائكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حَديدٌ﴾ فيظهر ما هو مضمرٌ في النفوس إلى الخارج إلى أن تنكشف لك أحوالك النفسية وتظهر لك على صورة أفاعي والتي هي لك اليوم عون وقرين وفي ذلك الوقت تصرخ من داخلك ﴿فَبِئسَ القَرينُ﴾ وتأخذ بالفرار من نفسك وتنادي نفسك من فمك ﴿يا ليتَ بَيني وَبينَكَ بُعدَ المَشرِقَيْنِ﴾، هيهات هيهات كيف تقدر أن تفرّ من نفسك؟ وفي كل مكان تهرب إليه فهي معك، وأيّ شقاء وتعاسة أكبر من أن يخاف الإنسان من نفسه وأن يخاف من طبيعته وعادته.

انقضى الوقت الذي كان فيه ليل الدنيا زابلاً واشرقت شمس يوم القيامة واستيقظت الأفاعي النائمة في حفرة البَدن وحركت رؤوسها لتعفّن أرواح المؤذين وعبّاد الهوىٰ.

ووصلنا لتوضيح تلك الأصول الثلاثة، ونذكر كل واحد منهما في فصلين:

فصل، في بيان الأصل الأول، وهو الجهل بمعرفة النفس والذي هو حقيقة الإنسان وبناء الإيمان بالآخرة ومعرفة الحشر والنشر والأرواح والأجساد على معرفة القلب، واكثر الناس غافلون عن ذلك، وهو من أعظم أسباب الشقاوة والخيبة في الآخرة، فانّ أكثر الخَلق في الدنيا كان في متناولهم أنّ عدم معرفة النفس هو نتيجة عدم معرفة الله، فانّ «مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّه» وكل من لم يعرف رَبَّه فقد ساواه اللهتعالى مع الدواب والأنعام ﴿أُولئكَ كَالأنعامِ بَل هُم أَضَلُّ﴾.

وهؤلاء يُحشرون يوم القيامة صُمّا وعُمياناً ﴿صُمٌ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لا

يَعقِلونَ﴾ وقد قال الله تبارك وتعالى في حقّهم ﴿نَسُوا اللهَ فَأنْساهُم أنفُسَهم﴾ وهو بمنزلة عكس النقيض «مَنْ عَرَفَ نَفسَه فَقَد عَرَفَ رَبَّه» فكلّما كان نسيان الله سبحانه سبب لنسيان النفس فانّ تذكّر النفس سيكون موجباً لتذكرّ الله تعالى وتذكّر ربّه موجباً لتذكرّ نفسه ﴿فَاذْكُرُوني أَذْكُرَكُم﴾ وذكر ربّ النفس ليس إلا وجود النفس لأنّ علم الحقّ بالأشياء حضوري، فإذن من لم تكن له معرفة للنفس فليس لنفسه وجود لأنّ وجود النفس هو عين النور والحضور والشعور. فإذن عُلم من هذه المقدّمات أنّ كل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربّه. ولم ينتفع من حياة تلك النشأة ﴿أُذْكرُوا الله لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾.

فيا غافل سيأتي يوم يدعو فيه الخالق عباده إليه ويرفع حجاب الغفلة من البين، وكل عبد ليس هو اليوم مشغول بذكره ولم يداوم على ذكر تلك المحبة ولم يأنس بذكره ولم يعرفه، فسيُحرم ذلك اليوم من لُطفه «مَن كره لقاء الله كره الله لقائه».

ومثل الخفّاش الذي يعلم أنّ طلوع الشمس يُسبب له العمى، فيقول: ﴿لِمَ حَشَرْتَني أعمىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصيراً﴾ والنور الذي يستطيع أن يرى به الأشياء في اليوم الآخر هو نور آخر، وذلك النور هو نور معرفة الله ﴿قَالَ أَتَتكَ آياتُنا فَنَسيتَها وَكَذٰلِكَ اليَومَ تُنسىٰ﴾.

وكثير من المحسوبين على العلم والعلماء غافلون على أحوال النفس ودرجاتها ومقاماتها في يوم القيامة وكذلك يجب أن لا يعتقدون بالمعاد وان كانوا يظهرون الاعتقاد بالمعاد بلسانه ويظهرون لفظاً إيمانهم بالنشأة الباقية ولكنّهم دائماً في خدمة البدن ويسعون لدواعي شهوة النفس ويرتبطون في طريق الهوى والآمال ويتّبعون المزاج وتقوية الجسد ويتتلمذون على أفكار جالينوس الطبيعية، ولا ينقلون أقدامهم خطوة واحدة خارج أنفسهم، ويصرفون أعمارهم العزيزة في طاعة قوى النفس الأمّارة بالسوء، يصير

عجوزاً ولسان حاله يتلو هذا المقال:

كان قلبي يريد حرية كلا الكونين، ولكنّي صرت عجوزاً في عبودية النفس والهوى.

وكذلك أكثر العاملين بلا علم والناسكين بلا معنى تصوّروا الآخرة كالدنيا وبطمع ﴿**فيها ما تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلذُّ الأعيُنُ**﴾ جاءوا بأعمال بدنية وعبادات لا معنى لها، واعتنوا بذكر المطالب الخسيسة والمآرب الحسيّة العاجلة والآجلة بسبب غفلتهم عن ذكر الله سبحانه وعبوديتهم للنفس والهوى وترك تحصيل المعرفة بالمبدأ والمعاد ﴿**بَل يُحِبوّنَ العاجِلَةَ وَيَذَرونَ الآخِرَةَ**﴾ ولا يتعلّموا شيئاً من العلوم الإلهية كمعرفة الله والملائكة المقرّبين والوحي والرسالة والنبوة والولاية وسرّ المعاد، وأعرضوا عن تحصيلها ولم يتعلّموا عملاً آخر غير شكل العبودية وصورتها.

وانظر إلى أن الخالق القديم قد أمر بكلامه الكريم بذكره كثيراً فقال: ﴿**فاذكروا الله**﴾، ﴿**واذكروا الله**﴾، ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾، ﴿**واذكر ربّك**﴾ وأمثال ذلك. والمراد من ذلك الذكر هو العلم والمعرفة لا تجرد الحرف والصوت والذكر باللسان وجرّ الصوت كما هي عادة المتصوفة اليوم والنفوس العاطلة عن ذكر خالق الإنس والجان، وهم في الحقيقة من الناسين للحق لا من الذاكرين وقد أوجب ربّ العالمين على خواصه ترك صُحبة هذه الجماعة، فقال:

﴿**فَأَعرِضْ عَمَّن تَوَلّى عَن ذِكرنا وَلَمْ يُرِد إلاَّ الْحَياةِ الدُّنيا ذلِكَ مَبلَغَهُم مِنَ الْعِلمِ**﴾.

لأنّ هذه الجماعة غافلة عن ذكر الله، أين هؤلاء من أهل القلوب؟! لو أن في قلوبهم ذرّة مضيئة من نور المعرفة فلماذا هم في البيت المظلم قد

جعلوا أهل الدنيا قبلتهم ويلعبون مع النفس والهوى لعبة نرد المحبّة دائماً.

وكذلك حال أولئك الذين يُعتبرون من العلماء وتركوا جانب القدس وطلب اليقين صاروا متوجهين إلى محراب أبواب السلاطين وتركوا الإخلاص والتوكّل وتوقّعوا الرزق وطلبوه من الآخرين.

«لمّا تركوا الإخلاص والتوكّل على الله الجأهم الله إلى أبواب السلاطين وحوّل وجوههم عن طلب الحقّ واليقين إلى خدمة الهوى وطاعة المجرمين وظلمة الفاسقين».

كيف وضع لنفسه اسم العالم والعارف من لم يعلم بفناء الدنيا وزوالها وأخلد إلى الأرض وظهر على قلبه عمارة الدنيا وزراعتها واتّخذ طريقه مع أهل الدنيا الغافلين عن حال الآخرة وساهَمَ معهم وماثلهم في تأسيس البناء الزائل وتشييد الدار العاجلة؟!.

وكيف يكون قلب من كانت صحبته دائماً مع أموات القلوب وذوي الطبائع السوداء حيّاً وذا بصيرة وقد أطفأ سراج عقله بأنفاس العوام الباردة، وحينئذٍ أي نور يحصل من السراج الذي لا نور له؟!

وحقاً أنّ من كان حيّاً بالحياة الحقيقية واشرق نور العلم واليقين في قلبه من جانب الملكوت يبتعد عن صُحبة الناس المتوحشين فانّ الناس ينفرون من صحبة الأموات وانّ هذه المجموعة لم تصل بعد إلى جميع الحياة فيجلسون مع الأموات ويتحدّثون معهم باختيارهم، فانظر إلى جبّار العالم بأي طرز نقش «أمواتٌ غير أحياء» على صفحة حال ومآل أموات القلوب، ووضع ختمَ ﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِن أَصحابِ القُبُورِ﴾ على جبين آمال النائمين على سرير الغفلة والجهالة.

يقول سقراط الحكيم:

«قُلوبُ المعترفين بالحقائق مسائر الملائكة وبطون المتلذّذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة».

واعلم على وجه التحقيق واسمع منّي على وجه الصحّة أنّ هذه الجماعة ـ المنكرين لتجرّد النفس ونشأة الأرواح وهم الظاهرية والحشوية واكثر المتكلمين وكافة الأطباء والطبيعيين واخوان جالينوس ـ عند أهل البصيرة وعلماء الآخرة لم يصلوا في الحقيقة إلى الآن لمرتبة ومقام الإنسانية، وليسوا من زمرة أهل العلم والنظر، ولم يشع نور الإيمان بالآخرة ـ الذي هو ركن عظيم من المسلم ـ في قلوبهم وهم في الحقيقة في عداد الكفّار، وان كان حكم الإسلام جارياً عليهم في الظاهر، لأنّ بناء الاعتقاد بالآخرة على معرفة النفس، ويجب على كل إنسان أن يعلم بذلك أو يعتقد به، فإذا كان من أهل الرأي والاجتهاد فعلى أساس البصيرة، وإذا كان من ضعفاء العقول كالعوام والصبيان فعلى أساس الانقياد والتقليد، وكلاهما له نوع من النجاة، ولكن إذا كان من أهل الرأي والاجتهاد وله اعتقاد على خلاف ذلك واستنكف عن تعلّم ذلك عناداً فسيكون مبتلىً بالعذاب الأبدي، كما ابتلى به الكفّار ﴿يَئسوا مِن الآخِرَةِ كما يَئسَ الكفّارُ مِن أصحابِ القُبورِ﴾ والكاف كاف التشبيه للإشارة، فاعلم بأنّ هذه الجماعة مسلمون في الظاهر وهم في الحقيقة مماثلون للكفار، فانّ مَن لا يعلم مِن أيّ شيء هو الإنسان ومن أين فهو لا يعلم إلى أين رجوعه، ومَن لا يعلم الإنسان سوى هذا القالب المادّي المركب من الأضداد أو جزء من ذلك ويعتبر إعادة المعدوم أمر محال، فيجب أن يكون مُنكراً للمعاد لا محالة، ويتعجّب من الإنسان الذي يُدفن في القبر ويتعفّن ويصير طعمة للنمل والحيّات كيف يحييٰ مرّة أخرى دفعة واحدة ويبعث من قبره في النشأة الأخرى؟! فإذن هو يقول من باب التعجب والإنكار والاستبعاد للمعاد:

﴿ءإذا كُنّا عِظاماً ورُفاتاً أإنّا لَمَبعُوثُون﴾.

ولسان حاله ومقاله يترنم بهذه النغمة واللحن ﴿هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدونَ﴾ كما ذكر ذلك بعض شعراء العرب (أبو العلاء المعري) من باب السخرية والاستهزاء.

حياةٌ ثُمَّ موتٌ ثمَّ حَشرٌ حَديثُ خُرافَةٍ يا أمَّ عَمروٍ

«وعندنا أنَّ هؤلاء المنكرين لتجرّد الأرواح، المحبوسين في محابس الأشباح، الذين انحصر عندهم الموجود في المحسوس ولم يرتقِ نظرهم عن هذه الوهدَة السوداء والمقبرة الظلماء إلى عالم النور والضياء والملأ الأعلى، هم أخسُّ درجة وأدنىٰ منزلة من أن يستحقّوا للخطاب كسائر الدواب ويستأهلوا لتقرير الجواب عمّا يُبدونه من مكنون الضمير عند السؤال».

سبحان الله فإذا كان الإنسان فانياً بالموت ويبطل ويضمحل بفساد مزاجه فلماذا قال رسول الله ﷺ في وقت رحيله: «الرفيق الأعلى، الكأس الأوفىٰ، والعيش الأصفىٰ» مع أنّه كان مُخيّراً بين سفر الآخرة والبقاء في الدنيا، ومن أيّ وجهٍ قال: «القبرُ روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران».

فعندما يفنى الإنسان بسبب فناء جسده بالموت فما هو الفرق عنده بين أن يكون في روضة أو حفرة، ورسول الله ﷺ يقول:

«القَبرُ أوّلُ مَنزلٍ من منازل الآخِرة».

ولا أدري كيف ستفهم هذا الحديث الذي هو بعيد عن حدود إدراكك، وليس هذا محلّ شرحه.

والاخرى من الدلائل السمعية على بقاء النفس ما قاله رسول الله ﷺ لفاطمة (سلام الله عليها) في وقت رحيلها: «إنّك أسرع أهل بيتي لِحاقاً بي» فَسَرَّت بذلك.

وإذا لم يكن بقاء النفس معلوماً فلماذا سُرَّت بهذا الخبر؟!

ولماذا قال أمير المؤمنين عليه السلام حينما ضربه ابن ملجم: «فُزتُ وربِّ الكعبة»؟! ولماذا رضي أصحاب الحسين عليه السلام بالعطش والقتل والمصيبة ورفضوا بيعة يزيد؟! فإذا لم يكونوا على يقين بالبقاء في دار الآخرة فهل يرضوا باختيارهم بمثل هذا الأمر؟! والدلائل على هذا المطلب أكثر من أن تُحصى، ومع هذا فانّ حقيقة وماهية النفس لا تُعلم إلاّ بنور الكشف واليقين، وهو من نصيب العارفين فقط، ولهذا لم يكشفوا سرّ الروح: ﴿قُلِ الروحُ مِن أمرِ رَبّي﴾ و﴿ما أوتيتُم مِن العِلمِ إلاّ قَليلاً﴾.

وتُوهِّم أنّ النبيّ ﷺ لم يكن مطّلعاً على حقيقة الروح، فكيف اطّلع إذن على أحوال النشأة الأخرى ووصل إلى مقام «أو أدنى»، وسمع من الحقّ بلا واسطة، ولكن بما أن غشاوة الطبع وظُلمة الوهم غالبة على الناس فلو كُشف لهم عن حقيقة الروح لوقعوا في الحيرة والضلالة، وعلم الحكماء الفلاسفة مع أنّ لهم حظّ وافر في هذه المسألة بالنسبة إلى علم علماء الآخرة وأهل القرآن كنسبة علم العوام إلى المتكلّم.

وما لم يحصل على معرفة النفس فسوف لا يصل إلى نتيجة من أيّ عمل.

مَن لَم يكن للوصالِ أهلاً   فكلُّ إحسانِه ذُنُوبُ

ويحصل الإيمان الحقيقي الذي هو منشأ القرب والولاية الحقّة لمن خرج من ظلمات دواعي قوى البدن ووصل إلى مقام نور الروح: ﴿اللهُ نورُ

السَّماواتِ والأرضِ﴾ ﴿اللهُ وَليُّ الَّذينَ آمَنوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُلماتِ إلَى النّورِ﴾ وهذا مقام ﴿فَأولئك يُبدّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ﴾ وقد أخبر قبل هذا المرتبة بأنّ لكل حسنة حكم السيئة لأنّ «الإناءُ يرشح بما فيه»، فكل عمل يصدر من جسم فهو ظلماني كذاك الجسم، وهو الجسم في صدد التغيّر والزوال والاضمحلال، والآن فكل عمل ناشىء من الروح فهو كالروح نوراني وباقٍ ودائم، وجاء في أخبار داود عليه السلام:

«يا داود اسمع منّي ولا أقول إلاّ حقاً، ألا انّ أوليائي يكفيهم من العلم ما يكفي الطعام من الملح».

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام اشارة إلى هذا المقام:

«يا علي أخلص في العمل يُجزك القليل».

وورد في توراة موسى عليه السلام.

«ما أريدُ به وَجهي فقليلُه كثيرُ، وما أُريد به غيرُ وجهي فكثيره قليل».

ومن المعلوم أنّ أحداً لا يعرف غير بدنه، وكل عمل يأتي به فمقصوده منه سعادة بدنه. وما لم تشرق شمس الروح من مغرب البدن، وما لم يضيء سيماء الآدمية بنور الروح، فكل ما يصدر عن الآدمي فهو نقص وظلمة وكدورة وفي معرض الزوال والفساد، وعندما يتنوّر القلب بنور الروح فسيتبدّل جميعه إلى الخير والإحسان، وحتى البدن فانّه يتبدّل أيضاً إلى تراب نوراني فيصير أيضاً لائقاً لدخول الجنّة، بل يكون جزءاً من أجزاء تراب الجنّة:

﴿وَأَشرَقَتِ الأرضُ بِنُورِ رَبِّها﴾، ﴿يَومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرض﴾

وهذا هو مقام:

وإذا الحَبيبُ أتىٰ بِذَنبٍ واحِدٍ جاءتْ محاسنُهُ بألفِ شَفيعِ
فـي وجهـهِ شـافِـعٌ يَمحـو إساءَتَـهُ مـن القُلـوب ويـأتـي بـالمعـاذيـرِ

وقد تصورّ اكثر العلماء وجمهور الفلاسفة أنّ جوهر الإنسان في الجميع واحد وغير متفاوت. وهو غير صحيح عند أرباب البصيرة. إنّ أكثر الناس يحيون بنفسٍ حيوانيّة ولم يصلوا بعد إلى مقام القلب فكيف بمقام الروح فما فوقه. ودرجات ومقامات أفراد البشر هي من أسفل السافلين إلى أعلى عليين ﴿لَهُم درجاتٌ عِندَ رَبّهم﴾، وهذه الدرجات عند بعضهم بالقوّة وعند آخرين بالفعل، وعند بعضهم مطويّة وعند آخرين منشورة. فبعضه له مقام ﴿إنَّ الّذينَ يُبايِعُونَكَ إنّما يُبايعونَ الله﴾ و﴿وَمَن يُطِعِ الرَّسولَ فَقَد أَطاعَ الله﴾ وهذا هو آخر مقامات الإنسان، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «مَن رآني فقد رأى الله». وبعضه له مقام أنزل من الحيوانات ﴿اولئكَ كَالأنعامِ بَل هُم أضَلّ أولئكَ الّذينَ خَسِروا أنْفُسَهُم﴾. ومعرفة النفس وشرح مقاماتها هو عمل كبير للغاية ولا يظهر إلاّ للكُمل.

الفصل الثاني: في بيان الأصل الثاني من الأصول الثلاثة المذكورة، وهو حُبّ الجاه والمال والميل للشهوات وسائر مُتع النفس الحيوانيّة والتي جامعها حُبّ الدنيا، كما قال الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية:

﴿زُيّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشّهواتِ مِنَ النّساءِ وَالْبَنينَ وَالقَناطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِن الذَّهبِ وَالفضَّةِ والخَيْلِ المُسوَّمَةِ وَالأنْعامِ وَالحَرْثِ ذلِك مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا وَاللهُ عِندَهُ حُسنُ المآب﴾[1].

وكل نفس عوّدت نفسها على هذه المتع الحيوانية واللذائذ الجسميّة التي هي طيّبات الدنيا وخبائث الآخرة، وتخلّق بالصفات البهيمية والسَبُعية،

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤).

يُحشر في يوم القيامة وبروز النشأة الأخرى مع البهائم والحشرات، وكل مَن جعل عقله مطيعاً ومنقاداً ومحكوماً للنفس الأمّارة وشدّ النطاق والحزام على وسط روحه خدمةً لقواه البدنيّة وجعل الملَك خادماً للشيطان والهوى، وأعطى القياد لجنود إبليس على ملَك العقل، ولا جرم أن مالك الجحيم سيلقيه في سجن جهنم ويقيّده بأغلال وسلاسل ويعذّبه بألوان العذاب. وسيكون إذن محروم ومأيوس.

وكل من كانت مرآة قلبه التي كانت قابلة لعكس أنوار المعرفة الإلهية وشُعاع نور التوحيد غُطيت بصدأ الشهوات ومواد النفس وكدورات المعاصي وغشاوة الطبيعة وتراب الجهالة والتعاسة على مرآة الضمير وغطس قدح الروح الدنيوي في ظلمات البدن وترسبات الدنيا، فمتىٰ سترى الروح الفلاح والنجاح؟ وأين سيقبل القلب الصلاح والصقل من كلمات آيات الحكمة لصاقل القلوب؟ الحكمة والنصيحة والموعظة توقظ القلوب النائمة ولكن لا تنفع القلوب الميتة.

﴿كَلاّ بَل رانَ عَلى قُلُوبِهِم ما كانوا يَكسِبونَ﴾.

﴿فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِم ما كانوا يَكسِبونَ﴾.

﴿إنّا جَعَلنا عَلى قُلوبِهم أَكِنَّةً أنْ يَفقَهُوه وَفِي آذانِهِم وَقراً وَإنْ تَدعُهُم إلى الْهُدىٰ فَلَنْ يَهْتَدوا إذاً أبَداً﴾.

«مَن غلبتْ شهوتُه عَقلَه فهو أدنى من البهائم».

ومن هذه الجهة يكون حديث مقيمي الحق في آذان عبّاد الهوى مرّاً، وكلام الحكماء تشمئز منه ذائقة المتكبرين والأنانيين المغرورين بالجاه والزينة.

﴿سأصرِفُ عن آياتي الّذين يَتَكبَّرونَ فِي الأرضِ بِغَيْر

الْحَقِّ﴾[1].

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها﴾[2].

﴿وإن يَرَوْا سَبيلَ الرُّشدِ لا يَتَّخِذوهُ سَبيلاً وَإن يَرَوْا سَبيلَ الْغَيّ يَتَّخِذوُه سَبيلاً﴾[3].

وكل من يقف موقف النصيحة والصدق فهو يجرّ إلى نفسه العداوة وتظهر بدايات اللجاج والعناد، مثل الكلب المجنون الذي يثب عليه ولا يقبل حديثه بقوّة التلبيس والمكر.

وانظر إلى حال بلعم بن باعوراء كيف يُخبر عنه الحقّ تعالى:

﴿وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها ولكنَّه أَخْلَدَ إلى الأرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إنْ تَحمِلْ عَلَيهِ يَلهَثْ أو تَترُكْهُ يَلهَث﴾[4].

إذا التفت الى نصيحته يطول لسانه، وإن تركته غضب عليك وأوصل إليك الأذى.

الفصل الثالث: في بيان الأصل الثالث، وهو تسويلات النفس الأمّارة وتدليسات الشيطان المكارة. فذلك اللعين سيّىء العمل الذي يعتبر القبيح حسناً والحسن قبيحاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، وعمله هو في ترويج الكلام الباطل وتزيين العمل غير الصالح وإظهار التلبيس والتمويه ويقصد إلى المكر والحيلة والغرور ويعتمد في إنكار الحقّ وإبطال البراهين العقلية على قوّة الخيالات الفاسدة والأوهام الكاذبة، ويعتمد على الكذب

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٦).
(٢) سورة الأعراف، الآية (١٤٦).
(٣) سورة الأعراف، الآية (١٤٦).
(٤) سورة الأعراف، الآية (١٧٦).

والوسواس والسفسطة، وبواسطة الغرور والتلبيس يظهر إدراج الشر في عداد الخير ويصوّر الباطل في صورة الحقّ، ويُلبس الأعمال السيئة ثوب الأعمال الحسنة، وليس حاصله إلاّ خسران الدنيا والآخرة لأنّ فعل الشياطين تمويه وتخييل ووسوسته بلا فائدة، وعمل أهل الغرور مثل عمل السيمياء بلا بقاء، ولا ينخدع بها إلاّ الناقصين ومن كان طبعه كالأطفال.

﴿قُلْ هَل نُنَبِّئُكم بالأَخسَرينَ أعمالاً * الّذينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَياةِ الدُّنيا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً﴾[1].

وقال في موضعٍ آخر:

﴿وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلناهُ هَباءً مَنثوراً﴾[2].

ومن هذا القبيل تقليد المقلّدين الذين لا بصيرة لهم وتعصباتهم الباردة، وكذلك بحوث المتكلّمين ومحاورات المجادلين على أساس الطبع والهوى لا على أساس تفحّص الحقّ وطريق الهدى.

﴿كَالّذي اسْتَهوَتْه الشَّياطينُ في الأَرضِ حَيرانٌ لَهُ أصحابٌ يَدْعُونَه إلَى الهُدىٰ ائتنا قُل إنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدىٰ﴾.

وطعن أرباب الملل والآراء ولعن أصحاب البدع والأهواء بعضهم الآخر **﴿كُلَّما دَخَلَتْ أمَّةٌ لَعَنتْ أخْتَها﴾**، وكذلك نسك الجهلاء وعبادة كثير من المتكبّرين، فقد نقل في «الكافي» عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«ألا لا خيرَ في قراءةٍ ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة الكهف، الآيتان (١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

«قَصمَ ظهري رَجلان: عالمٌ متهتّك وجاهلٌ متنسّك».

والأولى والأنسب بحال هذين الشخصين الإكتفاء بالرواتب اليومية والفرائض المقرّرة وكذلك العوام الآخرين يتقيّدون بعمل النظام الكوني وفسق العالَم وأن لا يتشبّهوا ببلعم بن باعوراء والشيخ برصيصا وأن يشتغل بالكسب والزراعة وأمثال ذلك وأن يتعاون مع أبناء جنسه ومصاحبة الخلق وأن يستفيد عن طريق الألفة من شعاع نور صُحبة المحسنين والعظماء، وينتفع من فضيلة «البلاهةُ أدنىٰ إلى الخلاص من فطانةٍ بتراء». ليكون من نصيبه المرور من ممرّ خدمة عظماء الدين وسالكي طريق اليقين في هذا الزمان، ويكون في يوم القيامة مشفوعاً له في ظل حماية شفاعتهم، وكما أنّ الظفر والشعر والعظم حيّة بحياة البدن فكذلك الروح السرمدية والحياة الأبدية حيث أنّ «مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم، ومَن أحبّ شيئاً حُشِرَ معه» لأنّ كل قلب لا يتلقّى نور العزّة وأسرار الصمدية، ولا طاقة لكل أذن من سماع سطوات الحقائق الأحدية.

جئتماني لتسألا سِرَّ سعدى... تجداني بسرّ سعدى شحيحاً وذلك الشخص الذي يريد التصرّف بأسرار الدين وحقائق اليقين بواسطة صناعة العقل المزخرف والبصيرة الحولاء والفطانة البتراء، أو ذلك الذي يريد أن يكون أحد أعمدة الحق وعظماء الدين والتفوق على الآخرين والترفّع عليهم نعوذ بالله عن طريق الجلوس في الخلوة وكثرة النوافل والصلاة والصيام الذي لا يُحصىٰ مع غلاظة طبعه وقساوة وفظاظة قلبه وقصور معرفته وجسامة قوّة شهوته، ونتيجة ذلك ليس إلاّ الضلالة والحيرة ﴿من يُضللِ اللهُ فَلا هادِيَ لَه وَيَذَرُهُم في طُغيانِهِم يَعْمَهُونَ﴾[1]، ونتيجة ذلك ليس إلاّ الكبر لا شيء آخر، ونتيجة الكبر الاحتراق في جهنم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوىً لِلمُتَكَبِّرينَ﴾.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٦).

والآن فاعلم بأنّ لهذه الصفات الثلاثة ثمار وآثار كثيرة، وتبعات ولواحق لا تُحصىٰ، غير ما ذُكر من العداوة والخصومة مع فُقراء باب الله والباحثين عن طريق اليقين، وسنبيّن ذلك أيضاً في فصول ثلاثة أخرى.

وحينئذٍ نشرح الثمرات واللوازم المذكورة، وكل من طلبها يراجع الكتاب المذكور، لكن ينبغي الإشارة إلى أنّ نسخة هذا الكتاب التي كانت في متناول يدي مشوشة وكثيرة الأغلاط وبعض الأغلاط كانت من جهة أصل النسخة لا من جهة الكاتب.

وقد افتتح الفيض رحمه الله رسالته في هذا الباب (أي ضياء القلب) بعد البسملة هكذا:

«الحمدُ لله الذي جعل مراسم الشرائع مطابقةً لمقتضىٰ عقول الكاملين، وسخّر لتلك العقول طبائعهم وعاداتهم ونواميسهم من بين العالمين، والصلاة على أكمل الناس عقلاً وأتمّهم ناموساً وشرعاً وخيرهم سجية وطبعاً محمّد وأهل بيته المعصومين.

أما بعد فيقول محمد بن مرتضى المدعو بمحسن كحّل الله عين بصيرته بنور اليقين: إنَّ الإنسان ما دام في الدنيا لا بدّ له من متابعة حكّام خمسة ليس له من دونها سبيل خلاص، ولا له عن امتثال أوامرها ونواهيها محيد ولا مناص إلاّ أن يخلصه بعضها عن حكم آخر فيذهب به إلى مثله أو أنفع أو أضرّ، ولبعضها على بعض الفضيلة والسيادة، وهي العقل والشرع والعرف والطبع والعادة، وربما يقع التعارض بينها في الحكم فيحتاج فيه إلى الترجيح، وربما يشتبه بعضها ببعض فيفتقر إلى التمييز وربما يضرّه متابعة بعض فيحتاج إلى الاستعانة في دفعه بآخر، ولا يمكنه ذلك كلّه إلاّ بمعرفة حقيقة كلٍ منها وحقيقة نفسه المحكوم عليها وإبانة مراتبها في الفضل

والشرف بحكمة تسلّطه عليه والإحاطة بمصالح اتّباعها ومفاسده فأردنا أن نفتح في هذه المقالة المسمّاة بضياء القلب التي هي بمنزلة الجنان ثمانية أبواب، نذكر في أحدها حقيقة كل منها وحقيقة النفس الإنسانية المحكوم عليها، وفي الثاني مراتبها في الفضل والشرف، وفي الثالث أسباب تسلّطها وحكمة حكومتها، وفي الرابع مصالح اتّباعها ومفاسدها، وفي الخامس ترجيح بعضها على بعض مع الاشتباه، وفي السادس والسابع حكايتين عن وليين من أولياء الله يُعرف بهما كيفيّة الاستعانة ببعضها على بعض، وفي الثامن إزاحة شُبهة نختم بها الكتاب. وها أنا شارعٌ في فتح الأبواب، مستعيناً بالله مُلهم الحقّ والصواب».

وحينئذٍ يشرع بالمطلب وبيان المقصد وتفصيل الإجمال المذكور، والراغب يراجع الكتاب المذكور مع ضميمة خمس رسائل أخرى للفيض (رحمه الله) (أي «منهاج النجاة»، «خلاصة الأذكار»، «بشارة الشيعة»، «مرآة الآخرة» و«الإنصاف») طبعت في إثني عشر صفحة وزيري سنة ١٣١٠.

أمّا شوائب الطبيعة، مثل الشهوة والغضب وتوابع ذلك من حبّ المال والجاه وغير ذلك،

﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةِ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدونَ عُلوّاً في الأرضِ وَلا فَساداً﴾.

وأما وساوس العادة، مثل تسويلات النفس الأمّارة وتزييناتها والأعمال غير الصالحة بسبب الخيالات الفاسدة والأوهام الكاذبة ولوازم ذلك من الأخلاق الرذيلة والملكات الذميمة.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأخسَرينَ أعمالاً الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهم فِي الْحَياةِ الدُّنيا

وَهُم يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنعاً﴾ .

وأمّا نواميس العامّة فمثل إتّباع الغول الآدمي الجسد وتقليد الجهلاء أشباه العلماء والاستجابة لإغواء شياطين الجنّ والإنس والإنخداع بحيلهم وتلبيساتهم .

﴿رَبَّنا أَرِنا الَّذينَ أَضَلاّنا مِنَ الْجِنِّ وَالإنسِ نَجْعَلْهُما تَحتَ أقدامِنا لِيَكُونا مِنَ الأَسْفَلينَ﴾ .

وأمّا بعض العادات والأوضاع في مثل الملابس ومعاشرة الناس فيجب على الظاهر اتبّاع الجمهور فيما قُرّر في عرف الزمان .

ولو أنّ بعض الأمور المتغيّرة في هذا الكلام قسم من العادات والأوضاع والآداب الأخلاقية تدخل تحت عنوان الإباحة، وتتغيّر مع مرور الزمان، بل تتبدّل أيضاً في عصر واحد بحسب عرف وعادة وتربية كل مدينة ومحيط اجتماعي . ويمكن القول في الواقع أنّ المراد بالأمور هو ما يدخل تحت الحكم الكلي لما نُسب لأمير المؤمنين عليه السلام :

«لا تُقسروا أولادكم على آدابكم فإنّهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم»[1] .

وفي عبارة أخرى أيضاً في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام خطاباً للإمام الحسين عليه السلام عَبّر عن تلك الأمور بهذا النحو :

حُسَينُ إذا كُنتَ في بلدةٍ غَريباً فَعاشِر بِآدابِها

ومع وجود هذا الأمر فانّ هذا التعبير من المصنّف رحمه الله بذلك الذوق والاتجاه الذي يطعن على الرأي والاجتهاد المعروف والمعهود عند أهل الفن

(١) ابن أبي الحديد في ملحقات واضافات الكلمات القصار ج٤، ص٥٣٦ .

عجيب ومحيّر جدّاً.

وما قاله «في مثل الملابس» فمن جملة النصوص التي لها دلالة على هذا المطلب ما رواه في «الكافي»:

«عن حمّاد بن عثمان قال: كنتُ حاضراً لأبي عبد الله عليه السلام إذ قال له رجل: أَصلحكَ اللهُ تعالى ذكرتَ أنّ عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجيد؟ قال: فقال له: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا يُنكر، ولو لَبسَ ذلك اليوم لشَهَرَ به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا عليه السلام إذا قام لبِسَ لباس عليّ عليه السلام وسار بسيرته»[1].

وكلّ من جعل هذه الأمور الخمسة عشرة لازمة عليه وعمل بها على نحو الجدّ وبإخلاص (أي لوجه الله تعالى لا لغرض دنيوي عاجل) فانّ حاله سيترقّىٰ يوماً بعد يوم، فتزيد حسناته وتُغفر سيئاته وتُرفع له درجاته. فإذا كان من أهل العلم أعني المسائل العلميَّة الإلهيّة من أحوال المبدأ والمعاد ومعرفة النفس وأمثال ذلك قد طرقت أسماعه وكان يعلم بأن العلم بها هو المقصد الأقصىٰ وكان له كامل الاهتمام بمعرفة ذلك وكان أهلاً لأن يعلم ذلك، فانّ معرفته ستزداد يوماً بعد يوم بإلهام الحقّ بمقدار استعداده الذي يحصل له من عبادته وصحبته للعلماء وحديثهم وإلاّ يحصل له صفاء الباطن والدعوة المستجابة ونحو ذلك من الكمالات اللائقة. وعلى كل تقدير يحصل له القرب من الحقّ سبحانه والمحبّة والنور، وثمرة المعرفة هو المحبّة الكاملة والنور الوافر.

ويمكن أن تصل المعرفة إلى حدّ بحيث يشاهد أكثر أُمور الآخرة في

(١) الكافي، كتاب الزي والتجمل، مرآة العقول ج٣، ص١٠٣.

هذه النشأة، كما هو منقول عن حارثة بن نعمان، وحديثه مذكور في الكافي. وحيثما اشتدّت المحبّة ووصلت إلى حدّ العشق والولع بذكر الحقّ عُبِّر عن ذلك باللقاء والوصول والفناء في الله والبقاء بالله ونحو ذلك، وهذا هو الغاية والغرض من إيجاد الخلق، كما هو الوارد في حديث قدسي: «كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلقَ ليعرفني».

وقد اعتبر العرفاء والصوفية هذه العبارة حديثاً قدسياً من غير ترديد ونقلوها في كتبهم، وقد اتّبع جمع من علمائنا ـ خصوصاً أصحاب الميول العرفانية والصوفية منهم (مثل المصنّف رحمة الله عليه) ـ بالعرفاء والصوفية في نقل ذلك. ولكن ليس في خاطري أنّ له سنداً معتبراً، وقد وقع في سمعي أنّ المرحوم الميرزا مهدي الأصفهاني رحمه الله الذي يُعدّ من عظماء المتأخّرين يعتبره موضوعاً، وقد حكم بعض علماء السنّة أيضاً بموضوعيته، كالشيخ أبي المحاسن محمد القاوقجي الحسني المشيشي في كتاب «اللؤلؤ المرصوص فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» حيث قال في حرف الكاف:

(حديث «كنتُ كنزاً مخفياً لا أُعرف فأحببتُ أن أعرف، فخلقتُ خلقاً وتعرّفتُ إليهم فَبي عرفوني» قال ابن تيمية: ليس من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي وابن حجر، ولكن معناه صحيح وظاهر، وهو بين الصوفية دائر).

وطالب التفصيل يراجع الكتب المفصّلة من قبيل «اللئالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي وحواشيه ونظائره، ويتوفر بنفسه على تحقيق هذا الأمر. وعلى كل حال فقد ذُكرت هذه العبارة صدراً وذيلاً أيضاً في كتب العرفان من قبيل «شرح منازل السائرين» و«بحر المعارف» للشيخ عبد الصمد رحمه الله وغير ذلك، ومن شاء فليراجع هذه الكتب.

وفي التنزيل: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدونِ﴾ قيل: أي

ليعرفون، وإنّما عَبّر عن المعرفة بالعبادة لأنّها لا تنفك عنها، وإنّما عُبِّر عن اللازم بالملزوم لئلاّ يتوهَّم أنّ المقصود أيّة معرفة كانت، بل المعرفة الخاصة التي لا تحصل إلاّ من جهة العبادة.

وللمعرفة أنواع متعدّدة وطرق متكثّرة، وليس كل معرفة توجب القرب والوصول، فانّ أكثر العامّة أيضاً تحصل لهم المعرفة عن طريق التقليد، وتحصل المعرفة للمتكلّمين أيضاً عن طريق الدلائل الجدلية التي تتركّب مقدّماتها من المسلّمات والمقبولات والمظنونات، وتحصل المعرفة كذلك للفلاسفة عن طريق البراهين العقلية التي تتركّب مقدّماتها من اليقينيّات.

فهذه المعارف موجودة وليس أحدها موجب للوصول والمحبّة. إذن فكل مَن حصَّل المعرفة عن طريق العبادة فهو ثمرة شجرة الخلقة والمقصود من إيجاد العالم، والآخرون موجودات طفيلية عليه ومن أجل خدمته.

الوجود الطفيلي عاشق للإنس والجنّ... فأظهر الإرادة لتنال السعادة

ولهذا ورد في الحديث القدسي خطاباً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «لولاك لما خلقتُ الأفلاك».

﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدونِ﴾.

قال المصنّف رحمه الله في تفسير الصافي في تفسير هذه الآية: «في العلل عن الصادق عليه السلام خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خَلَقَ العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه. فقال له رجل: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي أنت وأمّي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته».

وعن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية فقال: خلقهم ليأمُرهم

بالعبادة. قيل: قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزالُونَ مُختَلِفينَ إلاَّ مَن رَحِمَ رَبُّكَ ولِذلِكَ خَلَقَهُم﴾؟ قال: خلقهم ليستوجبوا به رحمته فيرحمهم.

والقميّ قال: خلقهم للأمر والنهي والتكليف وليست خلقةَ جَبرٍ أن يعبدوه ولكن خلقةَ اختيارٍ ليختبرهم بالأمر والنهي ومَن يطع الله ومن يعصي.

وفي حديث آخر: هي منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزالُونَ مُختَلفين...﴾.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: خلقهم للعبادة. قيل: قوله ﴿لاَ يَزالُونَ مُختَلفينَ﴾؟ قال: نزلت هذه بعد تلك.

أقول: لمّا كان خلق العالم إنّما هو للإمام الذي لا تخلو الأرض منه، وخلق الإمام إنّما هو للعبادة الناشئة من المعرفة الموروثة لمعرفة أُخرى، كما حُقّق في محلّه، صحَّ أن يُقال: خَلق الجنّ والإنس إنّما هو لحصول العبادة، ولمّا كان الكلّ داخلاً تحت التكليف والعبادة مطلوبة من الكلّ اختياراً واختباراً وإن لم يأتمر الكلّ بسوء اختيار بعضهم جاز أن يقال: خلقهم إنّما هو للتكليف بها، ولمّا صاروا مختلفين وتمرّد أكثرهم عن العبادة بعد كونهم جميعاً مأمورين بها، جاز أن يُقال: هذه منسوخة بتلك، فالأخبار كلّها متلائمة غير مختلفة، ولا نسخ في الحقيقة بالمعنىٰ المعهود منه فتدبّر.

قال الكليني في «الكافي»:

«عن اسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلّى بالناس الصبح فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مُصفرّاً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحتُ يا رسول الله مُوقناً. فعجب رسول الله من قوله وقال: إنّ لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟

فقال: انّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت عن الدنيا وما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعَّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها مُعذَّبون مصطرخون وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله لأصحابه: هذا عبدٌ نوّر الله قلبه بالإيمان. ثمّ قال له: الزم ما أنت عليه. فقال الشاب: أدع الله يا رسول الله أرزق الشهادة معك. فدعا رسول الله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر»[1].

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استقبل رسول الله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقّاً. فقال له رسول الله: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش ربّي وقد وُضع للحساب وكأنّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنّة وكأنّي أسمع عواء أهل النار. فقال رسول الله ﷺ: عبدٌ نوّر الله قلبه، أبصرتَ فأثبتْ فقال: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يرزقني الشهادة معك. فقال: اللهمَّ أرزق حارثة الشهادة. فلم يلبث إلاّ أيّاماً حتى بعث رسول الله بسرية فبعثه فيها فقاتل فَقَتَلَ تسعة أو ثمانية فقُتِل».

«وفي رواية القاسم بن يزيد عن أبي بصير قال: استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر».

قال المصنّف رحمه الله في رسالة «مرآة الآخرة»:

---

(١) أُصول الكافي، باب حقيقة الإيمان واليقين، مرآة العقول ج٢، ص٧٦.

«ومَن كحّل الله عين بصيرته بنور العرفان وهداه إلى طريق الايقان فهو يعرف أهل الجنّة من الناس من أصحاب النيران، ويشاهد نعيم هؤلاء رؤية عيان، وهو بعد في الدنيا بمشاهدة أعمالهم وأخلاقهم وهيئاتهم وغير ذلك كما أخبَر عنه أئمتنا عليهم السلام أنّهم يشاهدون ذلك. وروى في الكافي بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري، الحديث»[1].

ويمكن الحصول على نظير هذه الكلمات للمصنّف في سائر كتبه. وقال في «الوافي» بعد نقل الحديث:

«بيان ـ الخفقة: تحريك الرأس بسبب النعاس، والهاجرة: اشتداد الحرّ نصف النهار، والعزوف عن الشيء: الزهد فيه، والاصطراخ: الإستعانة.

وهذا التنوير الذي أُشير به في الحديث إنّما يحصل بزيادة الإيمان وشدّة اليقين فانّهما تنهيان بصاحبهما إلى أن يطّلع على حقائق الأشياء محسوساتها ومعقولاتها فينكشف له حجبها وأستارها فيعرفها بعين اليقين على ما هي عليه من غير وصمة ريب أو شائبة شك فيطمئن لها قلبه وتستريح بها روحه، وهذه هي الحكم الحقيقية التي من اوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «هَجَمَ بهم العلمُ على حقائقِ الأمور، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى».

أراد عليه السلام بما استوعره المترفون (أي المتنعّمون) رفض الشهوات

(١) مرآة الآخرة، أواخر الباب الثاني، ص١٦٢.

البدنية وقطع التعلّقات الدنيويّة وملازمة الصمت والسهر والجوع والمراقبة والاحتراز عمّا لا يعني ونحو ذلك. وانّما يتيسّر ذلك بالتجافي عن دار الغرور، والترقّي إلى عالم النور، والأنس بالله والوحشة عمّا سواه. وصيرورة الهموم جميعاً همّاً واحداً، وذلك لأنّ القلب مستعدٌ لأن يتجلّى فيه حقيقة الحقّ في الأشياء كلّها من اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، وانّما حيل بينه وبينها حُجبٌ كنقصان في جوهره أو كدورة تراكمت عليه من كثرة الشهوات أو عدول به عن جهة الحقيقة المطلوبة أو اعتقاد سبق إليه ورسخ فيه على سبيل التقليد والقبول بحُسن الظنّ أو جهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب، وإلى بعض هذه الحُجب أشير في الحديث النبوي:

لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»[1].

وينبغي التنبيه هنا إلى عدّة أُمور:

١ ـ لقد ذكر هذا الحديث أيضاً في الكتب المعتبرة الأُخرى من قبيل «المحاسن» للبرقي رحمه الله و«معاني الأخبار» للصدوق رحمه الله و«النوادر» للراوندي رحمه الله وغيرها، وطالب هذا الحديث يراجع ذلك الكتاب أو «البحار»، ولكن بما أنّ عبارة رواية «معاني الأخبار» ومفادها يختلف مع مضمون الروايتين السابقتين، وعبارة رواية «معاني الأخبار» للصدوق مطابقة لنقل المجلسي رحمه الله ولذا ننقلها هنا، ولأنّ سيرة المجلسي رحمه الله معلومة في تلخيص الأسانيد وكما هي مطابقة لتصريحه في أول البحار، فالطالب لنص سند الصدوق رحمه الله يراجع «معاني الأخبار»:

(١) الوافي، الجزء الثالث، الفصل الثاني، الباب التاسع ص٣٣.

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله في «البحار»:

«عن أبي عبد الله رحمه الله قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً حارثة بن النعمان الأنصاري وقال له: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً حقّاً. قال: لكل إيمانٍ حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأنّي بعرش ربّي وقد قَرُب للحساب وكأنّي بأهل الجنّة فيها يتزاورون وأهل النار فيها يُعذَّبون. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مؤمن نوّر الله الإيمان في قلبك، فأثبتْ ثبّتك الله. فقال: يا رسول الله ما على نفسي عليَّ شيءٌ أخوف منّي عليها من بصري، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فذهب بصره»[1].

٢ ـ قد بيّن العلاّمة المجلسي رحمه الله في «مرآة العقول» و«بحار الأنوار» هـذا الحـديـث بشكـل أوضـح مـن بيـان المصنّـف رحمه الله، وقـال فـي ضمـن توضيحاته في كلا الكتابين: «وقال بعض المحقّقين هذا التنوير الذي أُشير به في الحديث إلى آخر ما مرّ» ونقل الكلام السابق إلى آخره، ومن شاء فليراجع[2].

٣ ـ قال العلاّمة المجلسي رحمه الله في ضمن بيانه في كلا الكتابين «المرآة» و«البحار»:

«والعجب أنّ هذا الحديث مذكور في كُتب العامّة أيضاً كما يظهر من النهاية، وهذا الرجل (أي حارثة بن مالك) غير مذكور في رجالهم وكأنّه لعدم الرواية عنه كما أنّ أصحابنا أيضاً لم يذكروه لذلك».

٤ ـ ترجم العلاّمة المجلسي رحمه الله مضمون هذين الحديثين المذكورين

---

(١) بحار الأنوار ج١٥، ص٧٩.

(٢) مرآة العقول ج٢، ص٨٧، بحار الأنوار ج١٥، ص٧٥ و٧٦ و٧٩ و٨٢.

في الكافي إلى الفارسية في كتابه «حياة القلوب» في أواخر الباب الخمسين الذي عقده في بيان نوادر أخبار النبي ﷺ وبين قسم من أحوال أصحابه.

ـ وقد نظم الملاّ محمد البلخي المعروف بـ «ملاّ رومي» في الدفتر الأول «صيقل الأرواح» المعروف بـ «المثنوي» ونسب هذا الحديث إلى اسم زيد.

الخاتمة

بما أنّ المصنّف رحمه الله قد اعتبر معرفة الوقت وضبط الأوقات شرطاً أساسياً في سلوك طريق الدين، وعدَّ العمل به ضرورياً والغفلة عنه مضرّاً، فرأينا لائقاً بأن يُجعل آخر الأُمور الخمسة والعشرين المستفادة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، والكاتب أيضاً يختم بها تعليقاته على الرسالة ليستيقظ الغافلون من نوم الغفلة ويحذر غير العارفين عن محبّة الدنيا الدنيّة، وبناءً على هذا نبادر إلى نقل النصيحة الآتية لتكون زينة هذا القسم من التعليقات ومصداق لقوله تعالى ﴿ختامُه مِسكٌ وفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسونَ﴾ .

حساب الداخل والخارج من رأسمال العمر

قال السيد السعيد الشهيد القاضي نور الله الشوشتري رحمه الله في «مجالس المؤمنين» في ترجمة حال السيد السند الجليل فضل الله الراوندي رحمه الله نقلاً عن السمعاني في كتابه «الأنساب»، قال في ضمن ترجمة حاله :

«ومن جملة أشعاره التي كتبها بخطه الشريف لي هذه الأبيات :

هـل لـكَ يـا مغـرورُ مـن زاجـرٍ فَتـرعـوي عـن جهلِـكَ الغـامـرِ
أمـس تقضـي وَغَـدٌ لـم يجـيء واليـوم يمضـي لمحـةَ البـاصـرِ
فـذلـك العُمـر كـذا ينقضـي مـا أشبـه المـاضـي بـالغـابـرِ[1]

وتفصيل إجمال هذه القطعة اللطيفة هو ما قاله القطب محيي في كتاب ما ترجمة عنوانه «تخمين الأعمار في الانزجار من الاغترار بالدنيا الزائلة ومشتهياتها المريضة»، وبما أنّ محصَّل ذلك التفصيل موعظة شاملة عامّة بني آدم ونظير ذلك في الزجر والتأثير قليلة للغاية لم نشأ أن يكون مجلسنا هذا المحفوف بالإعزاز خالياً من المواعظ التي تُذيب العلائق والزواجر المُبعدّة عنها وتقرير ذلك التفصيل كالتالي:

«إنّ من عادة أصحاب الأموال هو تخمين دخلهم وما يصرفونه عليه وان علموا باحتمال طروّ الآفاق فيستأصل المال من أساسه واحتمال الخطأ في التخمين زيادة ونقيصة، ولكن بناءً على ظاهر حالهم والحساب الذي هم عليه، وعلى هذا القياس يجب على الناس تخمين أعمارهم وتقسيم أوقاتهم على ذلك القدر، ونضع هنا تخميناً عدلاً ليس فيه أيّ مبالغة ونقول: ورد في الحديث:

«أكثر أعمار أمّتي ما بين الستين الى السبعين».

والتجربة أيضاً تؤيد ذلك، فإذن المعدل المتوسط لكل فرد هو خمسة وستين.

والآن يا من بلغت الأربعين من العمر، يبقىٰ من عمرك خمسة وعشرين سنة، ففكر أنّ الخمسة والعشرين عاماً ليست بالكثير وهي تمضي بغمضة عين وإذا أردت أن تدرك صحة ذلك تذكر حادثة حدثت لك قبل

(١) هذه الأشعار نقلها صاحب الروضات ص٥١٥.

خمس وعشرين عاماً فكأنها كانت قد حدثت أمس أو أمس الأول، وعندما لا يبقىٰ من عمرك إلاّ نفس هذا المقدار فيجب عليك أن تأتي بعمل وأن لا تأتي بآخر، فأمّا الذي يجب عليك الإتيان به فهو المسارعة إلى تحصيل زاد المعاد فانّ كلّ من اقترب موعد خروجه كان اكثر جديّة في التهيئة والاستعداد لزاد الطريق لأنّ الوقت يصير ضيقاً وتزدحم عليه الأعمال ويجب عليه الإتيان بها واحداً واحداً من قبل لأنّ لا أمان لدق جرس الرحيل ولا يمنح فرصة. وأمّا ذلك الذي لا يجب عليه إتيانه فهو التفكير الزائد في أمر المعاش، لأنّ الخمسة والعشرين عاماً ليست زماناً طويلاً فعندما ترى انقضاء حاجتك ولو من غير نعمة زائدة لتلك المدّة فاكتفي بذلك ولا تسعى بعدها.

وإذا كُنت تريد استئصال الفقر وتستطيع ذلك فالوقت ضيّق، وإذا تفكيرك في الأولاد فاعلم أنّهم يفكرون بذلك والتفرّغ لزاد المعاد أولى كثيراً من التفكير في الأولاد، فانّ لهم نصيبهم من الرزق فلماذا يجعل هذا الشخص نفسه ربّاً لهم؟ فإنّ الله عز وجل خلق الإنسان وخلق له رزقه، وعلاقة البنوّة أيضاً علاقة اعتبارية، والأمور الاعتبارية يتوجّه إليها الإنسان في زمان الرفاهية والفراغ، وإذا كان الوقت ضيّقاً فأين سيبقى محلّ للإعتبارات، ولا تبقى للإنسان في يوم القيامة علاقة حقيقية إلاّ بنفسه عندما تصل السكين إلى العظم.

﴿يَومَ يَفِرُّ المَرءُ من أخيهِ وَأُمّهِ وَأبيهِ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيه لِكُلّ امْرِءٍ مِنهُمْ يَومَئذٍ شَأنٌ يُغْنيه﴾.

وأين يهرب منهم حيث:

﴿يَوَدُّ المُجرِمُ لَو يَفْتَدي مِن عذابِ يَومَئذٍ بِبَنيه وَصاحِبَتِهِ وَأخيه وَفَصيلَته الّتي تُؤويه وَمَن في الأرض جميعاً ثُمّ يُنجِيه﴾.

فإذا كنت تؤمن بيوم القيامة فيجب عليك اليوم إستحضار القيامة دائماً كما ستقع في ذلك اليوم وسأفعل كذا وكذا، وأهل الدنيا لا يفتدون دنياهم بدنيا أولادهم، فهل الآخرة أهون عليهم من الدنيا؟

وأما أنت يا من قد بلغ عمرك الخمسين عاماً، فلم يبقَ من عمرك إلاّ خمسة عشر عاماً، لا تقل ما الخبر فالأمر أعجل من هذا، فلقد سمعت حال ذاك الذي يبقى من عمره خمسة وعشرين عاماً فكيف سيكون حالك، فاستيقظ وانتبه لنفسك وطهّر قلبك من كل الأشياء وكل الأشخاص وتوجّه إلى الله وذكر الله وعبادة الله، أخرج بساطك من الماء فأنت يجب عليك أن تفكّر بنفسك، واترك الآخرين لحالهم، فمثلك مثل شخص في سفينة أشرفت على الغرق فيجب على كل فرد أن يضرب بيديه ورجليه الماء ليصل إلى الساحل ولا يشتغل أحدٌ بأحد فينقذ غيره ويترك نفسه فيغرقان معاً إلاّ لذلك الملاّح الماهر الذي يستطيع وهو سابح إنقاذ نفسه وعدّة من الآخرين ويخرجهم إلى الساحل، وأولئك هم رجال الحقّ في هذا البحر الذين يكونون مدد للمتأخرين بأمر الله، سلامٌ على ذكرهم ورحمة الله وبركاته، وذلك عن طريق المدد الديني لا عن طريق الفكر الدنيوي.

وويل لذلك الشخص الذي بلغ الستين من عمره، فلقد بقي لك خمس سنوات فقط، فأيّ حساب وأنتَ تسمع خفق أجنحة الملائكة في أُذنيك ساعةً فساعة، وتفكيرك في كفنك وكافورك أولى لك من التفكير في مالك وملكك، لقد اقترب أجلك، فأحضر قلبك وكرّر كلمة الموت ولا تقل انّي باقٍ إلى خمس سنوات أُخرى. ومهما كان ذكر الموت مُرّاً ولكن ما العمل فانّ هذا المرّ واقع، ولا يرجع بالتغافل والتجاهل، فاذكر ذلك أيضاً إلا إذا كان قلبك مستيقظاً فانّ الاشتغال ببنائه حينئذٍ أولى.

ولم أقصد بجميع هذه الخطابات شخصاً معيّناً، فهذا خطاب عام

لجميع بني آدم، وهذه الرسالة كُتبت لجميع البشر، وكل شخص من بني آدم قدَّر حسابه من هناك وصرف وقته على مقدار عمره، وكل هذه التقديرات المذكورة هنا هي بحسب أقصىٰ العمر وعلى الأكثر، وهو يعلم أن الموت غداً أو بعد غد في حسابه أيضاً.

﴿فَإذا جاءَ أجَلهُم لا يَسْتَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمونَ﴾.

«الكيّس مَن أدأب نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتَّبع نفسه وهواها وتمنّىٰ على الله الأماني».

ولا تطلق لنفسك المعصية بخيال العفو والمغفرة وكذا وكذا، فانّ ترتّب العقاب على المعصية أمر أصلي، كما هو ظاهر حال ذلك، والعفو والتجاوز أمر احتمالي وذلك أيضاً في مقام استيفاء ما لا يريدونه من البيان الذي أهملوا ذكره، كما هو ظاهر حال الشخص الذي تعضّه الحيّة هو الموت ولكن ربما لا يموت أيضاً، واحتمال وقوعه أقلّ مما في الحالة الأولى، فلا يصير هذا مبرراً أن يضع الشخص الجريء يده في فم الحيّة، والله سبحانه وتعالى مُحسن للعبد الذي يعلم اليوم أن خالقه كذلك، والسلام على من اتّبع الهدى.

تمت التعليقات فالحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى في ٢٣ جمادى الأولى من شهور سنة ١٣٧٢ الهجرية القمرية.

سيّد جلال الدين الحسيني الأرموي المشتهر بالمحدّث

إذن من كان له همّة عالية ويحصل على جوهر في نفسه يجب عليه أن يسعى ليقترب من هذه المرتبة عن طريق العبودية والعبادة والتقوى والطهارة.

فإذا وصلت إلى مقصدك فهي السعادة، وان مات في الطريق فهي الشهادة.

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾.

والتوفيق من الله العزيز الحكيم والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمّد وآله أجمعين تمَّت الرسالة المسمّاة بزاد السالك.

ترجمة الشريعة

تأليف

الحكيم والمحدّث الكبير

مُحسن الفيض الكاشاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

رسالة ترجمة الشريعة

المقدمة

الحمد والثناء لله الذي خلق الخلائق لعبادته، وأرسل الأنبياء أدلاّء على طريق العبادة، وسلام على نبيّه المبعوث بالشريعة الواضحة والسهلة، وعلى أهل بيته الذين أوصلوا بيان الشريعة منه إلى الأمّة.

أمّا بعد فيقول خادم الشريعة البيضاء محسن بن مرتضى أنّه قد طلب نوّاب[1] أشرف من هذا الأقلّ أن أكتب رسالة تحتوي على ترجمة الأعمال والسُنن السنية على نحو الاختصار ليعمل بها، فرتّبت ملخّص ذلك في هذه الرسالة مع توضيح مختصر على أساس كتاب الله سبحانه وحديث الأئمّة الهداة (سلام الله عليهم)، وقد رتبتها على منوال التراجم الأخرى وسمّيتها بـ«ترجمة الشريعة» وبالله التوفيق.

(١) نوّاب: من ألقاب أبناء السلاطين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الباب الأول

في كيفية سلوك طريق الحق والجنّة الخالدة

إعلم انّ الحقّ سبحانه وتعالى خلق الخلائق كما يقول:

﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونَ﴾[1].

والعبادة من أجل أن يصل كل مخلوق لكماله اللائق به ليفوز في العُقبىٰ بالسعادة العظمىٰ والفردوس الأعلىٰ، وليكون سعيداً بحسب مُنتهىٰ همّته، كما قال:

﴿وَلَكُمْ فيها ما تَشْتَهي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فيها ما تَدَّعُونَ﴾[2].

فيجب على كل فرد الدخول في العبودية وامتثال الأوامر والنواهي الإلهية بطوعٍ ورغبة بقدر وسعه من السعي والمجاهدة ويطوي طريق السعادة

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٢) سورة فصّلت، الآية (٣١).

بنور العبادة ليصل إلى الهدف الأصلي من خلقه. وعبادته لأيّام قليلة توصله إلى الحرية الأبدية، وتعبه اللاأبدي يُلحقه بالراحة السرمدية، وطاعته في العالم الفاني تبدّل إلى كونه مُطاعاً وملكاً مُتنفّذاً في العالم الباقي. وعبادة الله عزّ وجلّ في الحقيقة هو السير وطي طريق السعادة، والعبودية له جلَّ شأنه هو السفر نحو الحرية والسرور، وطاعته سبحانه توجّه نحو الملوكية والأمر المطاع. ومن هذه الجهة أطلق على التكاليف الشرعيّة اسم الشريعة والسنّة، سواء كانت الشريعة والسنّة بمعنى الطريق أو السير في الطريق، ولا بدّ أن توصل السالك إلى المقصد إذا سار على طريق الاستقامة، ومن هذه الجهة يقول:

﴿إِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وهذا هو الصراط المستقيم الذي في الآخرة والذي كل من يمرَّ عليه يصل إلى الجنَّة، والذي يستطيع أن يمرّ عليه هناك هو مَن استطاع أن يمشي على الصراط المستقيم في الدنيا.

وكما لا يستطيع المسافر من مكان إلى مكان طي الطريق ما لم يتقوّى بدنه بما يتناوله من الزاد، فكذلك مَن يطوي طريق العبودية لله لا يقدر على ذلك ما لم يتحلّى بالتقوى ظاهراً وباطناً والتي هي غذاء الروح، ومن لم يقوِّ الروح بذلك فإنّ روحه لا تستطيع طي طريق الجنّة. ومن هذه الجهة يقول:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى﴾[١].

وكما في السفر الصوري الجسماني من يقصد بلداً لا طريق له أو لا يعرف طريقه لا يستطيع الوصول إلى مقصده، فكذلك أيضاً في السفر المعنوي الروحاني لا يصل إلى مقصده من لا بصيرة له في عمله، كما ورد

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

في الحديث:

«العاملُ على غير بصيرةٍ كالسائر على غير الطريق لا يزيده كثرة السير إلاّ بُعداً»[1].

وكما أنّه في السفر الجسماني من يرخي العنان لدابته لتسير بنفسها فانّه لا يطوي الطريق، فكذلك في السفر الروحاني أيضاً فإنّ البدن والقوى والنفس والهوى بمنزلة المركب والدابة، فيترك لروحه أن تفعل كل ما تشتهيه ولم يقيّدها بالأعمال الحسنة الشرعيّة والسنن السنيّة النبويّة فانّه لا يطوي طريق الحقّ.

وأدلاّء هذا الطريق هم الأنبياء (سلام الله عليهم) الذين أوضحوا الطريق ووضعوا السنن والآداب وأخبروا بالمصالح والمفاسد وساروا بأنفسهم في هذا الطريق، وأمروا أمّتهم باتّباعهم، يقول الحقّ تعالى:

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

وقال في سورة أخرى:

﴿قُلْ إنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[3] ويقول:

﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾[4].

والأدلاّء بعد الأنبياء هم الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وبعدهم العلماء العاملون بعلمهم ويتّبعون الأنبياء وأئمّة الهدى عليهم السلام، ويتحدّث عن الله

---

(١) نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام في أُصول الكافي «سرعة السير» بدل «كثرة السير».

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣١).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

والآخرة وليس في قلوبهم حبٌّ للدنيا (رضوان الله عليهم)، إذا تكلّم معهم شخص وإذا سألهم وطلب الاستفادة منهم فانّه يزداد علماً إلى علمه ويطّلع على عيوبه بإشارة منه ويستطيع أن يطوي الطريق سريعاً. وإذا وجد مثل هذا العالم فانّ صحبته يجب أن تُعدُّ غنيمة وأن لا يتجاوز أمره. وإذا لم يحصل على مثل هذا العالم فعليه بمصاحبة الكتاب ومجالسة الصالحين الذين يستطيع أن يكسب منهم الأخلاق الحميدة، ولا تترك صحبة كل من يجعل وقتك حسناً ويذكر الله والآخرة.

ومنازل هذا الطريق: الصفات الحميدة والأخلاق المحمودة. وأحوال ومقامات الروح التي تنتقل كل واحدة منها إلى ما فوقها بالتدريج هي: المنزل الأوّل: الإنفصال والاطّلاع، والمنزل الآخر: الفردوس الأعلى والحور والقصور والشراب الطهور، لكلّ بقدر همّته.

وتظهر هذه الصفات الحميدة والأخلاق المحمودة للروح من الأعمال الحسنة للبدن والأعضاء. وينبغي إظهار الجدّ التام والجهد البالغ في مسير هذا الطريق، وتفويض الهمّة في طي المنازل بالمجاهدة ورياضة النفس ورفع عبء التكاليف الشرعية من الفرائض والسنن والآداب وترك المعاصي والمكروهات بقدر الاستطاعة ومراقبة النفس ومحاسبتها في كل يوم، بل في كل لحظة ليتلافى ويتدارك أي تقصير يحدث، وأن يأتي بالطاعة في عُقيب كل معصية لتكون كفّارة لذلك الذنب، كما يقول عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّآتِ﴾.

الباب الثاني

في بيان الأعمال الحسنة للبدن والأعضاء على سبيل الإجمال

اعلم أنّ الأعمال الحسنة في شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي أمر بها بعضها فرائض وبعضها نوافل.

الفرائض: وهي بمنزلة رأس المال وإقامتها موجب للخلاص والثواب وتركها موجب للأسر والعقاب.

النوافل: وهي بمنزلة الربح وإقامتها موجب للفوز بالدرجات الرفيعة في جنّة الخلود، وتركها موجب للحرمان من ذلك، ولا يترتّب على تركها عقاب سوى الحرمان.

والفرائض على قسمين: الكبار والصغار

الفرائض الكبار: وهي التي فعلها شرط في صحّة الإيمان وتركها موجب للعقاب بالنيران، مثل صلاة الفريضة والزكاة الواجبة وصيام شهر رمضان والحج والعمرة والجهاد مع الإمام عليه السلام وولاية أهل البيت عليهم السلام.

الفرائض الصغار: وهي التي تركها يوجب عقاباً أقل من عقاب ترك

الفرائض الكبار، وليس فعلها شرط في صحة الإيمان، مثل الأمور غير المذكورة من الواجبات.

والنوافل أيضاً على قسمين: السُنن والآداب

وكلّ واحدة منهما عبادة على حدة، فمثل تنظيف البدن وغسل الجمعة والنوافل اليومية وصيام ثلاثة أيام من كل شهر والتصدّق زيادة على الزكاة الواجبة والأضحية وزيارة قبور الأنبياء (صلوات الله عليهم) وأمثال ذلك، فهذه من السُنن السَنِيَّة. وأما مثل معاشرة الناس بحسن الخلق والتبسّم والتعامل الحسن وأمثال ذلك فهي من جملة الآداب الحميدة. أو متعلّقة بعبادة مثل المحافظة على أوقات الصلاة لكي يُقيمها في أول الوقت، واقامة الصلوات الفريضة جماعةً بخضوع وخشوع وسائر السنن والآداب المذكورة في ترجمة العبادات.

أو متعلّقة بعمل من الأعمال المباحة مثل قول بسمِ الله في ابتداء كل عمل، والإبتداء من الجانب الأيمن في كل أمر، وغسل اليدين قبل الطعام وبعده، فهذه من السنن السنيّة. وأمّا مثل تناول الطعام من قدّامه وتصغير اللقمة ومضغ الطعام جيّداً وقلّة النظر للناس أثناء تناول الطعام وغير ذلك فهي من جملة الآداب الحميدة.

وقد اتّضح ممّا تقدّم أن الفرائض الكبيرة مقدّمة على صغيرها، والفرائض الصغيرة مقدّمة على النوافل، والسُنن من النوافل مقدّمة على الآداب. ولكن يجب على ذوي الهمّة العالية المحافظة على الجميع بقدر استطاعته، وقد قال العظماء: «مَن ترك أدباً يُحرم على الغالب من سُنّة، ومن ترك سُنّة يُحرم على الغالب من فريضة» وقد ورد في الحديث القدسي:

«ما تقرَّب العبدُ إليَّ بشيءٍ أفضلُ ممّا افترضتُ عليه، وأنّ العبدَ

ليتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ»[1].

وقيل شعراً:

إذا قصد إهلاكي ألف عدوّ.. فانّ حرارة حبّك لا يدع في قلبي خوفٌ منهم.

(1) أصول الكافي: ج1 ص352.

الباب الثالث

في بيان الأعمال السيئة للبدن والأعضاء على سبيل الإجمال

بعد أن بيّنا الأعمال الحسنة فلا بدّ من ذكر الأعمال السيئة أيضاً، وذلك لأنّ ترك المعصيّة لها دخل أكثر من فعل الطاعة في تنوير القلب وطي طريق الحق وطي المنازل. وعُمدة زاد هذا الطريق هو التنزّه عن المعصيّة، كما قال تعالى:

﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] وترك جميع المعاصي فريضة، وترك المكروهات بمنزلة النوافل التي لفعلها ثواب وليس على تركها عقاب.

والمعاصي أيضاً كالفرائض على قسمين: كبائر وصغائر.

الكبائر: وهي التي يكون تركها شرط في صحّة الإيمان، وفعلها موجب للعقاب في النيران، كسفك الدماء بغير حقّ وعقوق الوالدين ونسبة الزنا إلى المرأة المعروفة بالعفّة وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا عالماً واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢٧).

والصغائر: وهي التي يكون فعلها موجباً لعذابٍ أقلّ من عقاب الكبائر، وليس تركها شرط لصحّة الإيمان. مثل لعب القمار وسماع الغناء ولبس الحرير وغير ذلك. والإصرار على الصغيرة له حكم الكبيرة، وقد ورد في الحديث:

«لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»(١).

والإصرار هو عدم خطور التوبة في قلبه ويعتبر تلك الصغيرة سهلة ثم يرتكبها أيضاً. ومن يجتنب الكبائر تُغفر له الصغائر، كما قال تعالى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾.

والمكروهات: يتعلّق بعضها بالعبادات، مثل الصلاة في ثوب فيه صور الحيوانات أو الصلاة في مكان تكون فيه صورة حيوان أمامه أو الصلاة في المقابر، وغير ذلك من مكروهات الصلاة والصوم والحجّ، كما هو مذكور في العبادات ويتعلّق بعضها بالمباحات مثل الأكل باليد اليسرىٰ والنوم على الجنابة إلاّ إذا توضّأ أو تيمم فترتفع الكراهة حينئذٍ، وتكفي المضمضة أيضاً لمن أراد تناول الطعام. وبعضها مكروهات على حدة مثل القهقهة وقراءة الشعر الباطل وخاصّة في ليالي الجمعة وأيامها وفي شهر رمضان وإضاعة الأوقات العزيزة بالبطالة والغفلة.

وقيل شعراً:

إن حاصل أعمارنا لا شيء إلا ما كان منه طاعة وخدمة لله.

---

(١) أصول الكافي، باب الإصرار على الذنب ج١.

الباب الرابع

في بيان بعض الأعمال الحسنة والسُنن السنيّة المدنيّة

اعلم أن الأعمال الحسنة والسُنن السنيّة كثيرة، ولكل منها فضائل لا تُحصىٰ ولكنّنا نذكر في هذه الرسالة البعض الأهم منها، وثواب كل واحد منها ونقتصر بحديث أو حديثين غالباً لأنّ هذا المختصر لا يسع أكثر من ذلك. ونذكر الحديث ابتداءً من غير نسبته إلى المعصوم لأنّ حديث المعصومين عليهم السلام واحد وجميعه من الله تعالى[1].

ومن الله التوفيق

---

(١) قد أضفنا نسبة الحديث إلى المعصوم تتميماً للفائدة ووضعناه بين قوسين.

الثوابات

١ ـ المسواك:

جاء في الحديث [عن الإمام الصادق عليه السلام]:

«في السواك إثنا عشر خصلة: هو من السُنَّة، ومطهِّرة للفم، ومجلاة للبصر، يُرضي الرحمن، ويبيضّ الأسنان، ويذهب بالحُفر، ويشدُّ اللّثة، ويشهّي الطعام، ويذهب بالبلغم، ويزيدُ في الحفظ، ويضاعف الحسنات، وتفرح به الملائكة»[١].

٢ ـ الوضوء:

ورد في الحديث [عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]:

«المتوضّىءُ أوّل ما يمسُّ الماء يتباعد عنه الشيطان، وإذا تمضمضَ نوَّر اللهُ قلبهُ ولسانهُ بالحكمة، فإذا استنشق آمنه الله من النار ورزقه رائحة الجنّة، فإذا غسل وجهه بيّض اللهُ وجهه يوم تبيّض وجوهٌ، وإذا غسل ساعديه حرّم الله عليه أغلال النار، وإذا مسح رأسه مسح الله عنه سيئاته، وإذا مسح

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٦، ص١٢٩.

قدميه أجازه الله على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام»[1].

وجاء في رواية أُخرى: إنّ كل عضو يُغسل أو يُمسح تطايرت الذنوب التي ارتكبها بذلك العضو.

وجاء في حديث آخر أيضاً:

«مَن توضّأ وذكر اسم الله طهُر جميعُ جسَدِهِ وكان الوضوءُ على الوضوء كفّارة لما بينهما من الذنوب، ومَن لم يسمِّ لم يطهر من جسده إلاّ ما أصابه الماء»[2].

وأدعية غُسل أعضاء الوضوء مشهورة ومذكورة في كتاب «أذكار الطهارة».

وورد في حديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«إنّ المؤمن إذا جامع أهله بسط سبعون ألف ملك جناحيه وتنزل الرحمة، فإذا اغتسل بنى الله له بكل قطرةٍ بيتاً في الجنّة»[3].

٣ ـ العطر:

وفي حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«ركعتان يصلّيهما المتعطّرُ أفضل من سبعين ركعة يُصلّيها غير متعطّر»[4].

---

(١) روضة الواعظين: ج٢، ص٣٠٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج١، ح١٠٢.
(٣) الوافي ج١، ص٨٣.
(٤) ثواب الأعمال: ص٦٢.

٤ ـ الذهاب إلى المسجد:

جاء في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«مكتوبٌ في التوراة: إنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لمن تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي، وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر»[١].

٥ ـ صلاة الفريضة:

وفي حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل منه كلّ يوم خمس مرّات كان يبقى في جسده شيء من الدرن؟ قلنا: لا. قال: فإنّ مثل الصلاة كمثل النهر الجاري كلّما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب»[٢].

وجاء في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«حجّة أفضلُ من الدنيا وما فيها وصلاة فريضة أفضل من ألف حجّة»[٣].

وورد أيضاً في حديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«إنّ أوّل ما يُحاسب به العبد الصلاة فإن قُبلت قُبل ما سواها، إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول ضيّعتني ضيَّعك الله»[٤].

وجاء في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

---

(١) ثواب الأعمال ص٤٧، وعلل الشرائع ج٢، ص٨.
(٢) كتاب الوافي ج٢، ص١٠.
(٣) كتاب الوافي ج٢، ص١٠.
(٤) كتاب الوافي ج٢، ص١٢.

«هـذه الصلـوات الخمـس المفـروضـات مـن أقـامهـنَّ وحـافـظ علـى مواقيتهنَّ لقي الله يوم القيامة وله عهدٌ يدخله به الجنّة، ومن لم يصلّهن لمواقيتهنَّ ولم يحافظ عليهن فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه»[1].

٦ ـ التعقيب:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من صلّى صلاةً وعقَّب إلى أُخرى فهو ضيف الله وحقٌ على الله أن يكرم ضيفه»[2].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«الدعاء بعد الفريضة أفضل من الصلاة تنفّلاً»[3].

وجاء في حديث آخر (عن الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«أيُما امرءٍ مُسلم جلس في مصلاّه الذي صلّى فيه الفجر يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحاجّ بيت الله تعالى»[4].

وجاء في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«الجلوس بعد صلاة الغداء في التعقيب والدعاء حتى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض»[5].

---

(١) كتاب الوافي ج٢، ص١٢، وفيه بدل «فأمره إلى الله»: فذاك إليه.
(٢) كتاب الوافي ج٢، ص١١٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه ج١/ح٩٦٢.
(٤) ثواب الأعمال: ص٦٨.
(٥) من لا يحضره الفقيه ج١/ح٩٦٥.

صلاة الليل:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«صلاة الليل تُبيّض الوجه، وصلاة الليل تطيّب الريح، وصلاة الليل تجلب الرزق»[1].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«صلاة الليل تُحسّن الخُلق، وتزيل الغم، وتجلي الوجه»[2].

وجاء في حديث آخر (عن أمير المؤمنين عليه السلام):

«قيام الليل مصحّحةٌ للبدن، ورضاء للربّ، وتمسّك بأخلاق النبيين، وتعرّض لرحمة الله تعالى»[3].

وورد في رواية أُخرى (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«صلاة الليل زينة الآخرة وكفّارة ذنوب النهار»[4].

وإذا أتىٰ بجميع نوافل الليل والنهار والتي هي علامة المؤمن فهي السعادة.

٨ ـ صلاة جعفر الطيّار:

جاء في حديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) في تشبيه حال من صلّى صلاة جعفر:

---

(١) علل الشرائع ص٣٦٣.
(٢) ثواب الأعمال ص٦٤.
(٣) ثواب الأعمال ص٦٥.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ح١٣٧١.

«ولو أنّ عليه مثل رمل عالج وزبد البحر ذنوباً لغفر الله له».

وهي أربع ركعات بتسليمين، يقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد سورة إذا زُلزلت، ويقرأ في الركعة الثانية إذا جاء نصر الله، وفي الثالثة إنا أنزلناه، وفي الرابعة قل هو الله، ويقرأ في كل ركعة بعد الفراغ من القراءة خمسة عشر مرّة التسبيحات الأربعة، وعشر مرّات في الركوع والسجود وبعد رفع الرأس من السجود.

ويمكن عدّ هذه الصلاة من حساب النوافل اليومية، أي إقامة النافلة عن هذا الطريق.

٩ ـ الذكر:

ورد في حديث (عن رسول الله ﷺ):

«مَن أكثر ذكر الله أحبّه الله، ومن أكثر ذكر الله كُتب له براءةً من النار وبراءة من النفاق»[١].

١٠ ـ الصلاة على النبيّ ﷺ:

جاء في الحديث النبوي:

«من صلّى عليَّ صلّى اللهُ عليه وملائكته، ومن شاء فليكثر ومن شاء فليقلّ»[٢].

١١ ـ الدعاء:

ورد في حديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

---

(١) كتاب بحار الأنوار ج٩٣، ص١٦٠.
(٢) كتاب الوافي، ج٢، ص٢٢٧.

«ما من شيء أفضل عند الله من أن يُسأل ويُطلب ما عنده، وما أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده»[1].

١٢ ـ قراءة القرآن:

جاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب الله بكلّ حرف مائة حسنة، ومن قرأ القرآن جالساً في صلاته كتب الله له بكلّ حرف خمسين حسنة، ومن قرأ في غير صلاته كتب الله بكلّ حرف عشر حسنات»[2].

وأقلّ ما يُقرأ من القرآن في اليوم والليلة خمسون آية بتأمّل وتدبّر وخضوع.

١٣ ـ السجود:

جاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«من سجدَ لله سجدةً حُطَّ عنه بها خطيئةٌ ورفع له بها درجة»[3].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«أيـّما مؤمنٍ سجدَ لله سجدة لشكر نعمة في غير صلاةٍ كتبَ اللهُ له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات في الجنان»[4].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

---

(١) كتاب أصول الكافي، باب فضل الدعاء ح٢.
(٢) ثواب الأعمال ص١٢٦.
(٣) ثواب الأعمال ص٥٥ و٥٦.
(٤) ثواب الأعمال ص٥٥ و٥٦.

«أقرب ما يكون العبد لله وهو ساجد»[1].

١٤ ـ الزكاة:

جاء في حديث (عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام):

«من أخرج زكاة ماله تامّة فوضعها في موضعها لم يُسأل من أين اكتسب ماله»[2].

١٥ ـ الحجّ:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام زين العابدين عليه السلام):

«حُجّوا واعتمروا تصحّ أجسامكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة الناس ومؤونة عيالاتكم»[3].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«قُلتُ ما يصلح اللهُ بالحاجّ؟ قال: مغفور والله لهم لا استثني فيه»[4].

١٦ ـ الصيام:

ورد في الحديث الصحيح (عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«الصائمُ في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغتب

---

(١) ثواب الأعمال ص٥٥ و٥٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه، الوافي ج٢.
(٣) بحار الأنوار ج٩٩، ص٢٥، وثواب الأعمال ص٧٠.
(٤) ثواب الأعمال ص٧٤.

مسلماً»[1].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«نوم الصائم عبادة، ونَفَسُهُ تسبيح»[2].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«وصمتُهُ تسبيح، وعمله متقبَّل، ودعاؤه مستجاب»[3]

وورد في حديث آخر (عن أمير المؤمنين عليه السلام):

«صيام ثلاثة أيّام في كل شهر صيامُ الدهر، إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾»[4].

وحقّاً أن الله عزّ وجلّ يقول في كتابه:

﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾[5].

وورد في حديث آخر (عن أمير المؤمنين عليه السلام):

«إنّ الصيام يذهب بوساوس القلب»[6].

وهي الخميس الأول من الشهر والخميس الأخير منه والأربعاء الأولى من العشرة الثانية من الشهر.

«وإذا شقَّ عليه صيام ذلك في الصيف قضاها في

---

(١) ثواب الأعمال ص٧٤ و٧٥.
(٢) ثواب الأعمال ص٧٤ و٧٥.
(٣) ثواب الأعمال ص٧٤ و٧٥.
(٤) من لا يحضره الفقيه ج٢، ح٢١٣.
(٥) سورة الأنعام، الآية (١٦٠).
(٦) من لا يحضره الفقيه ح٢١٣.

الشتاء»[1].

«وإن لم يستطع الصيام تصدَّق عن كل يوم بمدٍّ من الطعام»[2].

والمدّ ربع المن التبريزي. والتصدّق بدرهم أفضل من الصيام[3].

١٧ ـ زيارة الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم):

جاء في الحديث أنَّ الإمام الحسين عليه السلام سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أبتاه ما لمن زارك؟ قال: يا بُنيّ من زارني حيّاً وميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقّاً عليَّ أن أزوره يوم القيامة وأخلّصه من ذنوبه»[4].

وجاء في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«مَن أتىٰ قبر أبي عبد الله عارفاً بحقّه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[5].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الرضا عليه السلام):

«من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»[6].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الجواد عليه السلام):

«قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: ما لمن أتىٰ قبر الرضا عليه السلام؟ قال: والله

---

(١) من لا يحضره الفقيه ح٢٢٠.
(٢) من لا يحضره الفقيه ح٢١٩.
(٣) من لا يحضره الفقيه ح٢١٧ و٢١٨.
(٤) التهذيب ج٦، الوسائل ج١٠.
(٥) التهذيب ج٦، الوسائل ج١٠.
(٦) ثواب الأعمال ص١١٠.

الجنّة»[1].

١٨ ـ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام:

ورد في الحديث الصحيح (عن الإمام الباقر عليه السلام عن الإمام زين العابدين عليه السلام):

«أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى يسيل على خدّه بوأه الله تعالى بها في الجنّة غُرفاً يسكنها أحقاباً»[2].

١٩ ـ زيارة المؤمنين:

جاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«إنّ العبد المسلم إذا خرج من بيته زائراً أخاه لله لا لغيره إلتماس وجه الله، رغبةً فيما عنده، وكل الله عزّ وجلّ به سبعين ألف ملك ينادونه من خلفه إلى أن يرجع إلى منزله: ألا طبت وطابت لك الجنة»[3].

٢٠ ـ المصافحة والمعانقة:

جاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«إنَّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عزّ وجلّ عليهما بوجهه وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر»[4].

وفي حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

---

(١) ثواب الأعمال ص١٢٣.
(٢) ثواب الأعمال ١٠٨.
(٣) أصول الكافي ج٢، باب زيارة الأخوان ح٩.
(٤) أصول الكافي باب المصافحة ح٤.

«إنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله الرحمة عليهما فكانت تسعة وتسعون لأشدّهما حبّاً لصاحبه، فإذا تعانقا غمرتهما الرحمة وإذا قعدا يتحدّثان قال الحفظة بعضها لبعضٍ اعتزلوا بنا فلعلَّ لهما سرّاً، وقد ستر الله عليهما»[1].

٢١ ـ المحبّة لأهل الإيمان:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نورٍ أضاءَ نورُ وجوههم ونورُ أجسادهم ونورُ منابرهم كل شيء حتى يُعرفوا به فيُقال هؤلاء المتحابُّون في الله»[2].

٢٢ ـ الدعاء للمؤمن بظهر الغيب:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه»[3].

وفي حديث آخر (عن باب الحوائج موسى بن جعفر عليه السلام):

«من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائة ألف ضعف»[4].

وورد في حديث آخر:

«ومن دعا لأخوانه المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وكّل

---

(١) أصول الكافي باب المصافحة ح١٤.
(٢) أصول الكافي ج٢، ص٥٠٩، باب الدعاء للاخوان.
(٣) روضة الواعظين ج٢، ص٣٢٨.
(٤) أصول الكافي ج٢، ص٥٠٨ باب الدعاء ح٦.

الله به عن كلّ مؤمن ملكاً يدعو له»[1].

٢٣ ـ قضاء حاجة المؤمن وإزالة حزنه:

ورد في الحديث (عن الإمام زين العابدين عليه السلام):

«من قضى لأخيه حاجة فبحاجة الله بدأ، وقضىٰ الله بها مائة حاجة احداهن الجنّة، ومَن نفّس عن أخيه كُربة نفّس الله عنه كرب القيامة بالغاً ما بلغت»[2].

٢٤ ـ إدخال السرور على المؤمن:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«مَن سرَّ مؤمناً سرَّهُ اللهُ يوم القيامة، وقيل له: تمنَّ على ربّك ما أحببتَ فقد كنت تحبّ أن تسرّ أوليائه في دار الدنيا فيُعطى ما تمنّى ويزيده الله من عنده ما لم يخطر على باله من نعيم الجنَّة»[3].

٢٥ ـ إجابة المؤمن ونصرته:

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلاّ كان أفضل من صيام شهر أو اعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ نصره الله في الآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله في الدنيا والآخرة»[4].

---

(١) ثواب الأعمال ص١٧٥.
(٢) ثواب الأعمال ص١٧٥.
(٣) ثواب الأعمال ص١٧٩.
(٤) ثواب الأعمال ص١٧٧.

٢٦ ـ إعطاء القرض:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله إلاّ حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله»[١].

وجاء في حديث آخر (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«الصدقة عشرة أضعاف والقرض ثمانية عشر ضعفاً».

٢٧ ـ إبراء ذمّة الميت:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ له بكل درهم عشراً إذا حلّله، وإذا لم يحلّله فإنّما هو درهم بدل درهم».

٢٨ ـ إمهال المفلس:

وجاء في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من أراد أن يظلّه الله يوم لا ظلَّ إلاّ ظلَّه فلينظر مُعسراً أو يدع له من حقّه»[٢].

وجاء في حديث آخر (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أنظر معسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ما له

---

(١) الوافي المجلد ٢ الجزء ٦ ص٦٥.

(٢) الوافي المجلد ٢، الجزء ٦ ص٦٥.

حتى يستوفيه»[1].

٢٩ ـ الصدقة:

جاء في الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن فإنّ صدقته تظلّه»[2].

وجاء في حديث آخر (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«صدقة السرّ تُطفىء غضب الربّ[3]. صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من البلاء»[4].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«الصدقة تزيل الفقر وتطيل العمر وتدفع سبعين نوعاً من البلاء»[5].

والذي يحدّد مبلغاً معيّناً من المال يعطيه في كل يوم أو كل أُسبوع أو كل شهر إلى مستحقّ محروم لا يستطيع السؤال فهو سيكون داخلاً في تلك الجماعة التي أثنى الله تعالى عليها في كتابه فقال:

﴿والَّذينَ فِي أَموالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ والْمَحروُمِ﴾.

وجاء في الحديث:

المراد من هذا الحقّ غير الزكاة[6].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢، ح١٢٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج٢ ح١٥٥.
(٣) ثواب الأعمال ص١٦٩ و١٧٢.
(٤) ثواب الأعمال ص١٦٩ و١٧٢.
(٥) ثواب الأعمال ص١٦٩ و١٧٢.
(٦) الوافي ج٢، الجزء السادس ص٥٢.

٣٠ ـ تحرير العبيد:

ورد في الحديث:

«مَن اعتق مسلماً أعتق الله بكل عضوٍ منه عضواً من النار»[١].

٣١ ـ عيادة المريض:

في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من عاد مريضاً شيّعه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع إلى منزله»[٢].

٣٢ ـ إغاثة المسلم:

ورد في الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أغاث أخاه المسلم حتى يخرجه من همٍّ وكُربةٍ وورطةٍ كتب الله له عشر حسنات، ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعدَّ له يوم القيامة عشر شفاعات»[٣].

٣٣ ـ أداء الأمانة:

ورد في الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«أداء الأمانة يجلب الرزق إلى صاحبه والخيانة تجلب الفقر»[٤].

---

(١) ثواب الأعمال ص١٦٦ و١٧٨.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢، ص٦٣٤.
(٣) ثواب الأعمال ص١٦٦ و١٧٨.
(٤) البحار ج١٧.

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[1].

٣٤ ـ التوبة:

ورد في الحديث القدسي:

«يا داود إنّ العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب من ذلك الذنب واستحى منه عند ذكره غفرتُ له وأنسيتُهُ للحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين».

٣٥ ـ البكاء من خوف الله:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«ما من شيء إلاّ وله كيل أو وزن إلاّ الدموع فإنّ القطرة منها تطفىء بحاراً من نار. وإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتراً ولا ذلّة، فإذا فاضت حرّمه الله على النار، ولو أنّ باكياً بكىٰ في أمّة لرحموا»[2].

---

(١) الكافي ج٢، باب الصدق ص١٠٤.

(٢) أصول الكافي ج٢ ص٤٨١ باب البكاء.

العقاب

١ ـ التهاون بأمر الله:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إيّاكم والغفلة فإنّ من غفل إنّما يغفل عن نفسه وإيّاكم والتهاون بأمر الله عزّ وجلّ فإنّه من تهاونَ بأمر الله أهانه الله يوم القيامة»[١].

٢ ـ الفرح بالذنب:

جاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك»[٢].

٣ ـ الاستخفاف بالصلاة:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

---

(١) عقاب الأعمال ٢٤٢.

(٢) عقاب الأعمال ٢٦٦.

«إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»[1].

وجاء في حديث آخر:

«ليس ما بين الكفر والإيمان إلاّ ترك الصلاة».

٤ ـ ترك الجمعة والجماعة:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من ترك الجمعة ثلاثَ جُمع متوالياتٍ من غير علّةٍ طبعَ الله على قلبه»[2].

وجاء في الحديث:

«هَمَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بإحراقِ قومٍ في منازلهم لا يصلّون الجماعة».

٥ ـ منع الزكاة:

جاء في حديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نارٍ طوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قوله عزّ وجلّ: **﴿سيطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** قال: ما بخلوا به من الزكاة»[3].

٦ ـ الإفطار في شهر رمضان المبارك:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً خرج من

---

(١) عقاب الأعمال ص٢٧٢.
(٢) عقاب الأعمال ص٢٧٨.
(٣) عقاب الأعمال ص٢٧٨.

الإيمان»[1].

٧ ـ ترك الحجّ:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تُجحف به أو مرض لا يطيق منه الحجّ أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً»[2].

٨ ـ العقوق:

ورد في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«إيّاكم وعقوق الوالدين فإنّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام ولا يجدها عاقّ ولا قاطع رحم ولا جارٌّ إزاره خُيلاء، انّما الكبرياء لله ربّ العالمين»[3].

٩ ـ الظلم:

جاء في حديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«الظلم في الدنيا هو الظلمات في الآخرة»[4].

وجاء في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبيّ من أنبيائه في مملكة جبّار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له: إنّني لم استعملك على سفك الدماء واتّخاذ

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص٢٧٨ باب الكبائر.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج٢ ح١٣٣٣.
(٣) أصول الكافي ج٢، ص٣٤٩.
(٤) البحار ج٢، ص٣١٢.

الأموال وانّما استعملتك لتكفَّ عنّي أصوات المظلومين، فإنّي لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفّاراً»[1].

١٠ ـ القتل بغير حقّ:

ورد في الحديث القدسي (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«يا موسى قل للملأ من بني اسرائيل إيّاكم وقتل النفس الحرام بغير الحقّ، فمن قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته في النار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه».

١١ ـ أكل مال اليتيم:

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذينَ يَأكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامىٰ ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً﴾[2].

وقال أيضاً:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ﴾[3].

وجاء في الحديث:

هذه عقوبتهم في الدنيا، وتلك عقوبتهم في الآخرة ﴿وسيصلون سعيراً﴾.

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص٣٣٣ باب الظلم.

(٢) سورة النساء، الآية(١٠).

(٣) سورة النساء، الآية(٩).

١٢ ـ أكل الربا:

ورد في حديث (عن الإمام علي عليه السلام):

«درهم ربا أشدّ من سبعين زنية كُلّها بذات محرم»[١]

١٣ ـ شرب الخمر:

جاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«من شرب الخمر فسكر منها لم يقبل الله صلاته أربعين يوماً، فإن ترك الصلاة في هذه الأيام ضوعف عليه لترك الصلاة»[٢].

وفي حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ شارب الخمر اسوأ من تارك الصلاة، لأنّه حينما يسكر لا يعرف الله»[٣].

وفي حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ الله تعالى وضع كل السيئات في بيت وأقفل ذلك البيت، وجعل مفتاحه شرب الخمر»[٤].

وجاء في حديث آخر (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«يأتي المدمن على شرب الخمر يوم القيامة أزرق العينين أسود الوجه أعوج الذقن جاري الفم وقد ربطت جبهته بإبهام قدمه وخرجت يداه من خلفه فيخاف منه أهل الجمع»[٥].

---

(١) عقاب الأعمال ص٢٧٨.
(٢) عقاب الأعمال ص٢٩٠.
(٣) روضة الواعظين ص٤٦٥ نقلاً بالمعنى.
(٤) عقاب الأعمال ص٢٩٠ نقلاً بالمعنى.
(٥) عقاب الأعمال ص٢٩٠.

١٤ ـ غيبة المؤمن:

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١].

وورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من قال في مؤمن ما رأته عيناه أو سمعته أذناه فهو من الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»[٢].

١٥ ـ بهتان المؤمن:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من بهتَ مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبالٍ حتى يخرج ممّا قال. قالت: وما طينة خبال؟ قال: صديد يخرجُ من فروج الزناة»[٣].

١٦ ـ تعيير المؤمن:

جاء في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أذاع فاحشةً كان كمبتدئها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»[٤].

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١٢).
(٢) أصول الكافي ج٢، ص٣٥٧.
(٣) في أصول الكافي وعقاب الأعمال بدل «الزناة»: المومسات.
(٤) أصول الكافي ج٢، ص٣٥٦.

١٧ ـ ردّ حاجة المؤمن:

ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من أتاه أخوه في حاجةٍ وهو يقدُر على قضائها فلم يقضها له سلّط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً أو معذّباً»[١].

١٨ ـ حبس حقّ المؤمن:

جاء في الحديث الصحيح (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من حَبَس حقّ مؤمنٍ أقامه الله عزّ وجلّ يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتى يسيل من عرقه أوديةٌ وينادي منادٍ من عند الله هذا الظالم الذي حبس من المؤمن حقّه فيوبَّخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار»[٢].

١٩ ـ الوالي الذي لا يرعى أُمور الرعيّة:

ورد في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من ولّي شيئاً من أمور المسلمين فضيَّعهم ضيَّعه الله»[٣].

وفي حديث آخر (عن أمير المؤمنين عليه السلام):

«أيّما والٍ احتجب عن حوائج الناس احتجب اللهُ عنه يوم القيامة عن حوائجه، فإن أخذ هدية كان غلولاً، وإن أخذ رشوة فهو مُشرك»[٤].

وفي حديث آخر (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

(١) أُصول الكافي ج٢، ص١٩٤.
(٢) أُصول الكافي ج٢، ص٣٦٧.
(٣) عقاب الأعمال ص٣٠٩.
(٤) عقاب الأعمال ص٣١٠.

«من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم».

وهذا الحديث يشمل الوالي وغير الوالي، ويدل على وجوب اهتمام المسلمين بشؤون بعضهم مع البعض الآخر.

٢٠ ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ورد في حديث (عن رسول الله ﷺ):

«إذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليؤذن بوقاعٍ من الله جلّ اسمه».

٢١ ـ ترك الفريضة وارتكاب المعصية الكبيرة:

جاء في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى عبدٍ ولا يزكّيه إذا ترك فريضة من فرائض الله وارتكب كبيرة من الكبائر».

الباب الخامس

في بيان الصفات الحميدة والأخلاق المحمودة للروح التي تحصل بالتدريج من الأعمال الحسنة والسنن السنيّة للأعضاء

إعلم انّ الصفات والأخلاق الحسنة بعضها من قبيل الأصول والأمهات، وبعضها الآخر يتولّد من هذه الأصول، وبعضها من قبيل الفروع والنتائج الناشئة من تلك الاصول .

ونقتصر في هذه الرسالة على ذكر الاصول فقط، لأنّ ذكر الأصول يحصل منه ذكر الفروع أيضاً. والأصول إثنا عشر :

الأول : الصبر

وهو الثبات على الصعوبات في طريق الحق. إذن فالصبر على المصيبة له ثلاثمائة درجة، وإذا صبر على الطاعة له ستمائة درجة، وإذا صبر عن المعصية فله تسعمائة درجة. وهذا هو أفضل أنواع الصبر. هكذا ورد في الحديث الشريف، وقال تعالى :

﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[1].

وورد في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة وجهنم محفوفة باللذّات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»[2].

الثاني: الشكر

الشكر على قسمين: الشكر باللسان: وهو جريان الحمد والثناء الإلهي باللسان. والشكر بالأركان: وهو استعمال كل نعمة في المصرف الذي يرضي الله سبحانه وتعالى.

والشكر بالقلب هو أن يعلم أن جميع النعم هي من الله تعالى وانّ الشكر باعث لزيادة النعمة والكفران سبب لانقطاعها، يقول تعالى:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عذابي لَشَديد﴾[3].

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«ما أنعم الله على عبدٍ من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمَّ كلامه حتى يؤمر له بالمزيد»[4].

الثالث والرابع: الرضا والتسليم

وهو القبول بما يفعله الحق تبارك وتعالى به، وعدم الاعتراض عليه

---

(١) سورة الزمر، الآية (١٠).

(٢) أُصول الكافي ج٢، ص٨٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٤) أُصول الكافي ج٢، ص٩٤.

بأنّه لماذا فعلت هذا ولم تفعل ذاك. ومَن رضي عن الله فانّ الله أيضاً يرضى عنه كما قال عزّ من قائل:

﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1].

وجاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«من رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وأعظم الله أجره، ومن سخط القضاء أتى عليه القضاء وأحبط الله أجره»[2].

وجاء في الحديث أيضاً (عن الإمام الصادق عليه السلام)

«مَن رضي باليسير من المعاش رضي اللهُ منه باليسير من العمل»[3].

الخامس: الإخلاص

وهو تخليص العبادة من الرياء لتتحقق محض العبودية والطاعة إمّا من جهة الثواب الاخروي أو الخلاص من العقاب، يقول تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدّين﴾[4].

وورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«العمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلاّ الله»[5].

السادس: الصدق

أي الصدق في القول والعمل وهو عدم الكذب وأن لا يأتي بعمل في

---

(١) سورة المجادلة، الآية (٢٢).
(٢) أصول الكافي ج٢، ص٦٢.
(٣) أصول الكافي ج٢، ص١٣٨.
(٤) سورة البيّنة، الآية (٥).
(٥) أصول الكافي ج٢، ص١٦.

الظاهر وهو يبطن خلافه، يقول الحقّ تبارك وتعالى:

﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[1].

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من صدق لسانه زكى عمله»[2].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«من كان ظاهره أرجح من باطنه خفَّ ميزانه»[3].

السابع: العفّة

أي تحمّل الشهوة وعدم فعل النكاح وغيره في غير مواضعه، يقول تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾

وجاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«أفضل الأعمال عفّت البطن والفرج»[4].

الثامن: الشجاعة

أي قوّة القلب وعدم الخوف في غير محلّه، قال تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زحفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ

(١) سورة المائدة، الآية (١١٩).
(٢) أصول الكافي ج٢، ص١٠٤.
(٣) أصول الكافي ج٢، ص١٠٤.
(٤) بحار الأنوار ج١، ص٣٦٥.

اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصيرُ﴾[1].

وورد في الحديث:

«إنّ الله يحبّ الشجاعة ولو على قتل حيّة»[2].

التاسع: الحلم

وهو تحمّل الغضب والعفو، يقول تعالى:

﴿وَالكاظِمينَ الغَيْظَ وَالعافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ﴾[3].

وجاء في الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عزّاً فتعافوا يعزّكم الله»[4].

العاشر: التواضع وحُسن الخلق:

وهو خفض الجناح للكبير والصغير كلٌ بحسب قدره ومرتبته، وعدم الجدّية كثيراً مع الأطفال وتهدئتهم.

قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾[5].

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر وضعه الله»[6].

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان (١٥ ـ ١٦).
(٢) سفينة البحار ج١، ص٣٦٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٤).
(٤) أصول الكافي ج٢، ص١٠٨.
(٥) سورة الشعراء، الآية (٢١٥).
(٦) أصول الكافي ج٢، ص١٢٢.

الحادي عشر: السخاء

وهو بذل ما أوجبه الله تعالى وما تقتضيه المروّة من المال والجاه من غير كراهة. قال تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾[1].

وورد في الحديث:

«السخيُّ الحسن الخُلق في كنف الله لا يتخلّى اللهُ منه حتّى يُدخلُه الجنّة، ما بعث الله نبيّاً ولا صيّاً إلاّ سخيّاً. وما كان أحدٌ من الصالحين إلاّ سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى».

وجاء في الحديث (عن الإمام الرضا عليه السلام):

السخيّ قريب إلى الله وقريب إلى الناس، والبخيل بعيدٌ عن الله وبعيدٌ عن الناس.

الثاني عشر: الزهد

وهو عدم التعلّق بالدنيا والاستعداد للعُقبى. ويمكن أن تجتمع الرغبة والزهد مع كثير المال والجاه. قيل لأحد العظماء:

إنّك تدّعي الزهد ولديك هذا العدد من حظائر الخيل والبغال؟

فقال: لقد غرزت مساميرها في الطين لا في القلب. وقال تعالى:

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾[2].

---

(١) سورة الحشر، الآية (٩).

(٢) سورة الحديد، الآية (٢٣).

وجاء في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«جُعل الخير كلّه في بيت، وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[١].

وجاء أيضاً في تتمّة هذا الحديث:

«لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يُبالي مَن أكلَ الدنيا».

(١) أصول الكافي ج٢، ص١٢٨.

الباب السادس

في بيان الصفات الرذيلة والأخلاق المذمومة

وهي أيضاً بعضها من قبيل الأصول والأمهات بحيث أن بعضها الآخر يتولّد منها، وبعض من قبيل الفروع لأنّه بترك الأصول تُترك الفروع أيضاً، وهي عشرة:

الأول: الجزع والاضطراب:

وهو في مقابل الصبر على المصيبة، قال الحق تعالى حاكياً عن أنبيائه قولهم حين يتعرّضون للأذى:

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا﴾[1].

وجاء في الحديث:

«من لم يصبر على المصيبة جرى عليه القضاء وهو ذميم فأَحبطَ الله أجره».

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (١٢).

الثاني: الكسل عن العبادة:

وهو في مقابل الصبر على الطاعة، يقول تعالى في شأن المنافقين:

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلوٰة قَامُوا كُسالى﴾[1].

وفي حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام): مكتوب في التوراة:

«يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غِنىً، ولا آكلك إلى طلبك، وعليَّ أن أسدَّ فاقتك واملأ قلبك من خشيتي، وان لم تفرغ املأ قلبك شُغلاً بالدنيا ثم لا أسدّ فاقتك وآكلك إلى طلبك»[2].

الثالث: متابعة الهوى:

وهو في مقابل الصبر عن المعصية، يقول تعالى:

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[3].

وقد نهى القرآن الكريم والحديث عن متابعة الهوى في عدّة مواضع، فقد ورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع الهوى وحصائد ألسنتهم»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية (١٤٢).
(٢) أُصول الكافي ج٢، ص٨٣.
(٣) سورة محمد، الآية (١٤).
(٤) أُصول الكافي ج٢، ص٣٣٥.

الرابع: العُجب والغرور:

فيعدّ ما يأتي به من الخصال والأعمال عظيماً ويمنّ على الله سبحانه بالطاعة، ويغفل عن أن جميع التوفيقات هي من الله تعالى. وبالجملة كفران بالنعمة في مقابل الشكر القلبي. يقول تعالى:

﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1].

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ الله تعالى علم أنّ الذنوب خيرٌ للمؤمن من العُجب، ولولا ذلك ما ابتلىٰ مؤمن بذنبٍ أبداً»[2].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّه ليذنب الرجل ذنباً فيخاف منه أفضل من يأتي بحسنة ويدخله العُجب منها»[3].

الخامس: الحسد:

الحسد على أهل النعمة الدنيوية والاخروية والسخط والشكوى على الله في قلبه أو لسانه لإنعامه على الغير، وهو في مقابل الرضا والتسليم. قال الحق تبارك وتعالى عن المنافقين:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية (١٠٤).
(٢) أصول الكافي ج٢، ص٣١٣.
(٣) أصول الكافي ج٢، ص٣١٤.
(٤) سورة النساء، الآية (٥٤).

وجاء في الحديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«الحسدُ يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[1].

وورد في حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«آفة الدين الحسد»[2].

السادس: الحرص:

والسعي البالغ في أمور الدنيا والحزن عليها، وهو في مقابل التوكل.

قال تعالى:

﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيوٰةُ الدُّنْيا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[3].

وجاء في الحديث (عن أمير المؤمنين عليه السلام):

«إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكُم»[4].

وجاء في حديث (عن الإمام الباقر عليه السلام):

«مثل الحريص في الدنيا مثل دودة القزّ كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً»[5].

السابع: الرياء:

في العبادات والإتيان بأعمال الآخرة للدنيا وحبّ المدح والثناء، وهو

---

(١) أُصول الكافي ج٢، ص٣٠٦.
(٢) أُصول الكافي ج٢، ص٣٠٧.
(٣) سورة لقمان، الآية (٣٣).
(٤) أُصول الكافي ج٢، ص٣١٦.
(٥) أُصول الكافي ج٢، ص٣١٦.

في مقابل الاخلاص، يقول الله تعالى عن المنافقين:

﴿يُراؤنَ النّاسَ﴾[1].

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«إيّاك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وكّله الله إلى من عمل له»[2].

وورد في الحديث القدسي (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«من أشرك غيري في عبادته لا أقبل منه عبادته إلاّ إذا كانت خالصة لي».

الثامن: الغضب:

وهو في مقابل الحلم، ويحدث من أجل أمور الدنيا وطلب الانتقام في وصول مكروه من أحد. يقول تعالى في الثناء على المؤمنين:

﴿وَإذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرونَ﴾[3].

وجاء في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام): مكتوبٌ في التوراة:

«يا ابن آدم اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، ولا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظُلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[4].

وجاء أيضاً في حديث (عن الإمام الصادق ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

«الغضب يُفسد الإيمان كما يُفسد الخلُ العسلَ»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية(١٤٢).

(٢) أُصول الكافي ج٢، ص٢٩٣.

(٣) سورة الشورى، الآية (٣٧).

(٤) أُصول الكافي ج٢، ص٣٠٤.

(٥) أُصول الكافي ج٢، ص٣٠٢.

وفي حديث آخر (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«الغضب مفتاح كل شرّ»[1].

التاسع: التكبّر:

النظر إلى الناس بحقارة ويعتبر نفسه عظيماً، وهو في مقابل التواضع يقول تعالى:

﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبّار﴾[2].

وجاء في حديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

«الكبر رداء الله، فمن نازع الله شيئاً من ردائه اكبّه الله في النار»[3].

العاشر: حُبّ الدنيا:

والغفلة عن الله وطول الأمل ونسيان الأجل. وهو في مقابل الزهد، وهذه أمور تحرم العبد من جميع الخيرات. يقول تعالى:

﴿وغَرَّتْكُمُ الأَمانِيُّ حَتّى جاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[4].

وورد في الحديث (عن الإمام زين العابدين عليه السلام):

«حبّ الدنيا رأس كل خطيئة»[5].

وورد في الحديث (عن الإمام الصادق عليه السلام):

---

(١) أُصول الكافي ج٢، ص٣٠٣.
(٢) سورة المؤمن، الآية (٣٥).
(٣) أُصول الكافي ج٢، ص٣١٠.
(٤) سورة الحديد، الآية (١٤).
(٥) أُصول الكافي ج٢، ص٣١٧.

«من أصبح وأمسىٰ والدنيا أكبر همَّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، وشتت أمره، ولم ينل من الدنيا إلاّ ما قسّم الله له، ومن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبر همَّه جعل الله الغنىٰ في قلبه وجمع له أمره»[1].

(١) أصول الكافي ج٢، ص٣١٩.

خاتمة

في بعض الآداب اللازمة لسالك طريق الحقّ وعمدة آداب هذا الطريق هو ذكر الله تعالى في كل لحظة وفي كل ساعة، فإن استطاع أن يجعل لسانه في أكثر الأوقات مشغولاً بذكر الحقّ فهي السعادة وان كانت اعضاءه الأُخرى مشغولة في أعمال أخرى.

وقد نقل أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان لسانه المبارك في أكثر أوقاته مشغولاً بترديد كلمة لا إله إلاّ الله. وذكر الله سبحانه في جميع الأحوال سواء كان أثناء الأكل أو التحدّث أو المشي في الطريق أو أي عمل يأتي به، لأنّ لذكر الحقّ له مدد قوي في تنوير القّلب. فإذا كان القلب أيضاً مقارناً للسان فإنّه يعطي انطلاقاً واسعاً في زمن قليل، وخصوصاً إذا ترك المعاصي. فإذا وقعت منه معصية تداركها بسرعة بالتوبة والاستغفار والإنابة فانّه سيكون محبوب الحق تعالى، كما قال:

﴿إنَّ الله يُحبّ التَّوّابينَ﴾[1].

وفي الحديث:

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

«إنّ الله يحبّ كل مُفتتن توّاب».

وحقاً ان الله تعالى يحب الذي يقع في فتنة الذنوب ثم يعود ويستغفر ويتوب، أي ليس عنده إصرار على المعصية.

والذي لا تتيسّر له التوبة، أي لا يحصل له الندم والعزم على عدم العودة إلى الذنب يجب أن يكون له عزم على التوبة وأن يتأذّى ويغتم من صدور الذنب، فانّ من يذنب ويبكي ليس مثل الذي يذنب ويضحك.

وقد جاء في الحديث:

«المؤمن مَن يحزن عند السيئة ويفرح عند الحسنة».

وكل من حصل له التوفيق على إتيان الأعمال الحسنة والسُنن السنيّة المذكورة واجتنب عن الأعمال السيئة المذكورة وحصّل الأخلاق المحمودة وابتعد عن الأخلاق المذمومة، فانّ حاله يترقّى يوماً بعد يوم، فتزيد حسناته وتُغفر سيئاته وتُرفع درجاته ويكون باطنه أصفىٰ وقربه للحق أوفىٰ ودعاءه مُستجاب ونفسه مستطاب.

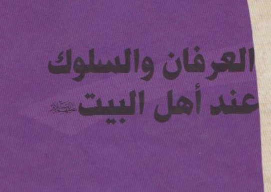
رزقنا الله ذلك بمنّه وجوده

انتهى

الفهرس

شرح رسالة زاد السالك

ترجمة الشريعة







للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد- خلف محطة دياب
تلفاكس: 42 49 27 (9611+) - 00 29 55 (9611+)
جوال: 49 01 80 (9613+) ص.ب: 25/91 بيروت-لبنان
E-mail: dar_asafwa@hotmail.com